النتيجة

المنفى في أرض يسوع

«لا يقدم التاريخ -بحسب اعتقادي- أي سابقة لشعب قاده الكهنة ورجال الدين، ونعم بحكومة مدنية حرة. وهو ما يكشف عن أحط درجات الجهل لدى تلك الشعوب، والذي لا يتوانى القادة المدنيون ورجال الدين عن استغلاله لتحقيق مآربهم الخاصة».

توماس جفرسون

♦

في كل مرة أتحدث فيها مع أصدقائي والأشخاص الذين أعرفهم عن القوة المتنامية لليمين الإنجيلي، يتكرر طرح هذا السؤال: ما الذي يمكننا فعله؟. وعادة ما أرد عليهم -وعلى سبيل المزاح- قائلة :هيئوا حقيبة السفر، واحتفظوا بجواز سفر ساري المفعول. ولا أقصد هذا الكلام على حقيقته طبعاً، إلا أن مشاعر الخوف التي تعكسها هذه الإجابة حقيقية وأصيلة. فهناك فارق كبير بين أن نكون تحت حكومة تحتقر الحريات المدنية، وقد شهدت أمريكة مثل هذا النوع من الحكومات من قبل، وبين أن نكون إزاء حركة شعبية عارمة ـ هي أكبر وأقوى حركة شعبية في البلاد - تقف وتعلن معارضتها لحقوق بقية المواطنين. إن الدستور الأمريكي يضمن حماية الأقليات، ولكن هذه الحماية ليست مطلقة، ومع وجود غالبية متعاطفة أو غير مبالية، فإن باستطاعة مجموعة صغيرة جيدة التنظيم أن تلتفّ على هذه الضمانات.

إن أخطر ما في الحالة الراهنة للبلاد، من وجهة نظر معارضي اليمين الإنجيلي، هو أن غالبية الشعب الأمريكي تؤمن وتصدق -بتحمس شديد- أموراً هي في حقيقتها غير صحيحة -، بأن العراق كان وراء هجمات 11 سبتمبر، على سبيل المثال، أما أن بل كلينتون كان أكثر إسرافاً في الإنفاق العام من جورج بوش، أو أن العالم وجد قبل بضعة

آلاف من السنين. هذا أخطر ما في الأمر. وهم (أي معارضي اليمين الإنجيلي) في حيرة بشأن أفضل السبل للنفاذ إلى عقول هؤلاء المواطنين، وكيفية وضع الرسالة أو الشعار أو الإطار على نحو مناسب يمكّنهم من تبصير الناس بالظروف الخطرة التي تعاني منها أمريكة اليوم. والشيء المفقود في هذا كله ليس الحقيقة وحسب، بل مجموع الآلية الاجتماعية التي يتم بواسطتها التمييز بين الحق والباطل. إن إضعاف القومية المسيحية يتطلب العودة إلى (التنوير)، وإعادة بناء ثقافة تقوم على العقلانية. ومما يؤسف له أن جماهير غفيرة من الشعب الأمريكي لم تعد ترى في قيم التنوير شيئاً مقنعاً. ولم يعد بإمكان السياسة العقلانية أن تعِد بتحقيق الإصلاح الوطني الذي يصبو إليه معظم الناس على ما يبدو.

ولست على يقين من أننا سنتجاوز تلك العقبة. وليس أمام الذين لا يريدون العيش في البلد الذي يسعى القوميون المسيحيون إلى إقامته من خيار سوى المقاومة والمواجهة. ولدي بعض المقترحات عن الأساليب التي يحسن اتباعها. غير أنني فَزِعة مما يجري في أمريكة اليوم، ولا أرغب في أن يكون الإلهام والتشجيع على حساب الصراحة.

لقد برهنت في الفصول السابقة أن الحركة القومية المسيحية تحتوي على عناصر شمولية استبدادية. وأود أن أوضح ـ مع ذلك ـ أنني لست أدعي أن الولايات المتحدة على وشك الخضوع لحكم ديني لاهوتي استبدادي. ومع الضمور التدريجي الذي حل بديمقراطيتنا، وتلاشي بعض حقوقنا المدنية، إلا أن حياة معظم الناس -بمن فيهم أشد المعارضين للأجندة القومية المسيحية- ستبقى طبيعية في المستقبل المنظور. ولذلك، قد لا يسهل على الذين يقدرون المجتمع العلماني إدراك الخطر القادم من القومية المسيحية وتفهمه. فحالهم أشبه ما يكون بحال الضفدعة الموجودة في وعاء ماء موضوع على نار هادئة، بحيث ترتفع درجة حرارة الماء ببطء، ولا تشعر الضفدعة باللحظة التي سيبدأ فيها الماء بالغليان ويقضي عليها.

ومع أننا لا نزال بعيدين عن نقطة الغليان، إلا أن الخطر لن يتلاشى دون ضغط من الحركات المعارضة، والتنظيم للدفاع عن التعددية وعن المساواة الدينية، واحترام

العقل والحرية الفردية. ولو استمرت الاتجاهات السائدة اليوم، فسوف نشهد تزايداً في الانقسام والشحناء في العمل السياسي. ويرجع ذلك -في جزء منه- إلى تراجع القوى المسيحية المعتدلة في الوقت الذي يزداد فيه انتشار الحركة القومية المسيحية والتيار العلماني. وتفيد دراسة مسحية شاملة أعدها مركز الدراسات العليا في جامعة مدينة نيويورك عن محددات الهوية الدينية في أمريكة، أن نسبة الأمريكيين الذين يعرّفون أنفسهم بأنهم مسيحيون قد تناقصوا في السنوات الأخيرة، من 86 % عام 1990، إلى 77 % عام 2001. ووجدت الدراسة أن الزيادة المطلقة والزيادة في النسبة المئوية ظهرت ضمن فئة الذين لا ينتمون إلى أي دين أو معتقد. إذ ازدادت نسبتهم بمعدل ضعفين من 14,3 مليون شخص عام 1990، أي بنسبة 8 % من السكان، ليصلوا إلى 29,4 مليون شخص عام 2001، أي بنسبة 14 % من السكان. أما أكبر المستفيدين من زيادة الانتماء الديني في الولايات المتحدة فهم ثلاثة: فئة المسيحيين الإنجيليين، وفئة الذين يصفون أنفسهم بالمسيحيين غير المنتمين إلى طائفة معينة، وكذلك فئة الذين لا يعتقدون بأي دين على سبيل التحديد. (أما نسب اليهود، والمسلمين، والهندوس، والبوذيين، وأتباع الديانات الأخرى، فبقيت تمثل أقليات لا تتجاوز نسبتها 4 % من مجموع السكان).

وهذا الوضع هو وصفة للاستقطاب. إن الانقسام الديني في أمريكة لا ينحصر في نطاق المتدينين وغير المتدينين، بل هو بين من يريدون الاستمرار في مجتمع علماني تعددي والمحافظة عليه، وبين الذين يعارضون ذلك. ويُخشى أن تؤدي زيادة نسبة غير المسيحيين وحضورهم إلى مضاعفة حدّة الغضب والخوف لدى أولئك الذين يحاولون -بائسين- إعادة البلاد إلى الجذور المسيحية الخرافية. وكما تذكر المؤرخة الدينية كيرين آرمسترونغ، فإن الأصولية تعمل ضمن علاقة تبادلية تعاضدية مع العلمانية؛ فكلما ازداد إقصاء الأصولية عن المجتمع، ازدادت تطرفاً[154]. وفي الوقت الذي تتضاعف فيه حدّة النزعة القومية المسيحية وعنفها، فإن العلمانيين والأقليات الدينية الأخرى سوف تتحرك لمعارضتها، وهو ما سيزيد من حدة العداوة والشحناء. ويتوقع -نتيجة لذلك- أن نشهد انكماشاً في الأرضية المشتركة بين المعسكرين. وسوف

ينظر كل طرف إلى الطرف الآخر عبر الفجوة الفاصلة بينهما، بمزيد من الازدراء وعدم الفهم.

وأتوقع أن تتفاقم الأمور إلى الأسوأ، على الأقل في المستقبل القريب. وبقدوم عام 2005 وانقضائه، استمتع كثير من الليبراليين بمشهد انهيار الحزب الجمهوري وتراجعه. غير أن انتكاسة الحزب الجمهوري -وإن تسببت في إحباط طموحات القوميين المسيحيين وتطلعاتهم بعيدة المدى- إلا أنها عززت أيضاً من اعتماد ذلك الحزب على قاعدته الانتخابية. وهو ما تبدى بشكل واضح عندما اضطر جورج بوش إلى العدول عن ترشيح هاريت مايرز لمنصب قاضٍ في المحكمة العليا، وترشيح صاموئيل أليتو الأكثر معارضة للإجهاض، بديلاً عنه. وفي الوقت نفسه، ثمة عدد كبير من الجمهوريين الذين أثقلت كاهلهم الحرب العراقية التي تتزايد معارضتها يوماً بعد يوم، وأصبحوا يرون في قضايا الحرب الثقافية أملهم الوحيد في نقض مكتسبات الحزب الديمقراطي.

ومن المرجح أن نشهد في الأشهر والسنوات القادمة مزيداً من انتقاص الحقوق المدنية التي تحققت للمرأة، والأقليات الدينية الأخرى، التي جاءت بعد نضال كبير على مدى العقود الماضية. ومع تعيين بوش لاثنين من قضاة المحكمة العليا، فإن من المتوقع أن تشهد حقوق الإجهاض مزيداً من التضييق، ولو قدّر للرئيس بوش أن يعيّن قاضياً ثالثاً فإن ذلك سيعني نهاية حق المرأة الأمريكية في الإجهاض الذي تقرر في قضية رو ضد ويد. ويمكننا أن نتوقع مزيداً من الجهود لمنع الأزواج ذوي الميول الجنسية المثلية من اللوطيين والسحاقيات من تبني الأبناء، وحضانة الأطفال، وستزيد المحاولات الرامية إلى طرد المعلمين الشواذ من وظائفهم. ويقوم القادة الإنجيليون بتشجيع أتباعهم على تعقب أمارات الشذوذ الجنسي المبكرة لدى أبنائهم، وهو ما سيشجع زيادة أعداد اللوطيين المراهقين الذين سيخضعون لجلسات علاج نفسي إصلاحي بهدف تقويمهم وإعادتهم إلى الطبيعة السوية. (وتحث منظمة التركيز على الأسرة أولياء الأمور على ضرورة طلب المساعدة لأبنائهم الصغار، حتى الذين هم في سن الخامسة من عمرهم، إذا ظهرت عليهم «ميول نحو البكاء بسهولة، والعزوف عن

الرياضة، أو عدم الرغبة في الانخراط في الأنشطة الكثيرة التي يستمتع بها بقية الأطفال»[155].

وما لم تنقضِ مبادرات بوش لدعم المؤسسات الدينية العاملة في النشاط الاجتماعي، فإن الأقليات من الديانات الأخرى سيلقون مزيداً من التمييز العنصري في البرامج التي تمولها الدولة. وستزداد حدة التمييز في بعض المناطق أكثر من غيرها - مع أن آن لوون اكتشفت أن الناس في أي مكان سيتأثرون بذلك. وفي الوقت نفسه، سيتعلم الذين يسعون إلى المساعدة الحكومية في علاج الإدمان على المخدرات، أو التدريب المهني، أو المساعدة الطارئة في المأكل والمأوى، أن يتوقعوا درجة من محاولات تغيير دينهم.

وبعد كل ما شاهدته بأم عيني في أثناء البحث والإعداد لإخراج هذا الكتاب، فإنني بت مقتنعة أن رمزية القوميين المسيحيين وأيديولوجيتهم ستزداد حضوراً في الحياة العامة. وستزداد حمى الحرب على نظرية النشوء والارتقاء، وسيكون هناك حملات بهدف تدريس تاريخ القوميين المسيحيين في المدارس العامة. وهناك مساق دراسي من وضعته وتطويرته مجموعة يمينية متشددة تدعى المجلس الوطني للمناهج الدراسية الإنجيلية في المدارس العامة، وهذا المساق يدرس فعلاً في أكثر من 300 مدرسة في 36 ولاية[156]. وتأسس هذا المجلس عام 1993 على يد إليزابيت ريدينور- وهي عضو في مجلس السياسة الوطنية - وتضم اللجنة الاستشارية لذلك المجلس ديفيد بارتون، وجيمس كيندي، وهاورد فيليبس. ويهدف المساق إلى دراسة الكتاب المقدس من منظور أدبي وتاريخي. وهو أمر مسموح به بموجب مادة التعديل الأول للدستور، غير أنه في حقيقة الأمر يدرس أدباً إنجيلياً، ونظرة تاريخية تصحيحية على طراز أعمال بارتون.

وسوف يواصل القوميون المسيحيون تحديهم للجامعات الأمريكية. وقد أقر مجلس النواب في ولاية فلوريدا عام 2005 قانوناً يسمى قانون الحريات الأكاديمية الأساسية بهدف محاربة (الاستبداد اليساري) الذي يمارسه (الأساتذة المستبدون). وفي حال إقرار هذا القانون، فإنه سيعطي الطلاب الحق في مقاضاة أساتذتهم إذا مورس

ضدهم تحيز يساري. ووصف دنس بالسكي الذي اقترح مشروع القانون -في حديثه لصحيفة سارسوتا هيرالد تريبيون- المعاملة السيئة التي لقيها في الجامعة، وتقول الصحيفة: «تذكر عضو المجلس التشريعي أول يوم له في درس الأنثروبولوجية في جامعة فلوريدا ستيت عندما قال أستاذه: إن التطور حقيقة علمية، ولا وجود للحلقة المفقودة. ولا أريد أن أسمع أي شيء عن التصميم الذكي. وإذا كان ذلك لا يروق لأحد هنا، فليخرج من القاعة». ونقل عن بالسكي قوله: «إن اليساريين الذين يحملون هذه الأفكار لم يستولوا على جامعاتنا، بل تخلى عنها أصحاب الأغلبية والاتجاه السائد؛ خوفاً من أن يتهموا بالتعصب الديني»[155].

لم يحظَ مشروع قانون الحريات الأكاديمية الأساسية بالنجاح في فلوريدا، إلا أن محاولات تمرير قوانين مشابهة -تستهدف الأساتذة الذين يعتقد اليمين المحافظ أنهم لا يدينون بالقدر اللازم من الوطنية- ما زالت مستمرة في جميع الولايات. كما نجحت جهود أخرى تهدف إلى إلزام الكليات والمعاهد الحكومية بتمويل الجمعيات الطلابية الإنجيلية من حصيلة الرسوم التي يدفعها الطلبة، واستثناء تلك الجمعيات من تطبيق الأحكام التي تمنع التمييز ضد الشواذ جنسياً من الطلبة.

إن تأثير القومية المسيحية في المدارس الحكومية، وفي المعاهد والجامعات، وفي المحاكم، وفي المؤسسات التي تقدم الخدمات الاجتماعية، وفي عيادات الأطباء، سوف تشوه الحياة الأمريكية، وتحولها إلى حياة مريرة، وعدوانية، ومقسمة. ولا يزال الطريق طويلاً بين هذه الصورة المشوهة من الديمقراطية، وبين الثيوقراطية الحقيقية. وسيتطلب الأمر حدوث أزمات مروعة لتفتيت ما تبقى من الإجماع الشعبي الأمريكي قبل أن تصبح الفاشية الدينية أمراً محتملاً. وهذا يعني أنه لا يوجد داعٍ لأن يشعر الليبراليون والعلمانيون بالهستيريا تجاه هذه الظاهرة، ولكنه -مع ذلك- لا يعني بحال من الأحوال الخنوع والاستسلام. إن عملية التحول إلى تلك الحالة غير المتصورة سيأخذ وقتاً طويلاً، أي أن أمامنا متسعاً من الوقت لعكس هذا التوجه.

ما زالت الحركة القومية المسيحية ـ بكل ما تحويه من نزعة شمولية، ومعاداة للعقل والتحرر، ونظرتها التآمرية، وادعائها أنها تملك نظرية عظمى شاملة للتاريخ

والسياسة - تواجه القيود المفروضة عليها من قبل الدستور، والمحاكم، والملتزمين بالنهج الديمقراطي، (وفي بعض الأحيان الحزب الديمقراطي). كما أنها مقيدة بالرأسمالية. وهناك عدد كبير من الشركات السعيدة برؤية حلفائها السياسيين يسخّرون غضب أفراد اليمين المسيحي وعواطفهم لمصلحتها، غير أن صناعة الثقافة تعارض الرقابة الحكومية. كما أن الخوف من الشواذ جنسياً ليس في مصلحة العمل؛ لأن كثيراً من الشركات ترغب في توظيف الموظفين المؤهلين من هؤلاء الشواذ، وترغب كذلك في تسويق منتجاتها للمستهلكين من هذه الشريحة السكانية. كما أن الشركات المتخصصة في تقنية العلوم الحياتية لن تقوم بتوظيف أشخاص يفتقرون إلى فهم عميق للتطور. لذلك، فإن الضغوط الاقتصادية ستعمل ضد اكتساح المؤمنين (بالخلق) لجزء كبير من المدارس الحكومية.

سيناريو أسوأ الاحتمالات

سيتطلب الأمر حدوث كارثة وطنية، أو سلسلة من تلك الكوارث، قبل أن تنهار كل هذه الحصون، ويتمكن القوميون المسيحيون فعلاً من (استعادة البلاد)، على حد تعبير مايكل فيريس. لقد وجدت الحركات الاستبدادية البدائية منذ القدم، وما زالت موجودة في معظم الدول الغربية، إلا أنها كانت دائماً حركات هامشية. وربما نجحت من وقت لآخر في التحرك نحو التيار العام، إلا أنها لا تلبث أن تعود إلى الهامش، كما حدث في أمريكة، ولكن ذلك لا يعني أنهم على وشك تحقيق فوز مؤزر[158]. ولم تستطع الحركات الشمولية على مدى التاريخ -أن تستحوذ على الحكم، إلا حين تعجز السلطة القائمة عن التعامل مع التحديات الصعبة والمأساوية- مثل الانهيار الاقتصادي، أو العجز عن تحقيق الأمن، أو الهزيمة العسكرية، وبعد أن يفقد الشعب -نتيجة ذلك- ثقته بشرعية النظام القائم[159].

واحتمال حدوث مثل هذه الكوارث في أمريكة أمر وارد. وقد كان في الفوضى التي أعقبت إعصار كاترينا ومضات مخيفة تدل على مدى سرعة انهيار النظام. كما أدت هجمات الحادي عشر من سبتمبر إلى تآكل جزء كبير من دستورية الحكومة؛ ولا يوجد ما يضمن قدرة الديمقراطية الأمريكية على البقاء في حالة حدوث هجوم

وحشي مشابه*. ولو نجح الإرهابيون في توجيه ضربة أخرى، فإن من المؤكد أن نشهد فرض مزيد من القيود على حرية المعارضة الليبرالية في التعبير عن رأيها مصحوباً بتزايد في حدة النزعة العدوانية لدى التيار اليميني بشقيه الديني والعلماني. وفي المرة السابقة، قام أنصار اليمين في أثناء تظاهراتهم بحرق أقراص مدمجة «(هدامة) لفرق غنائية مثل فرقة ديكسي تشيكس (فتيات الديكسي)؛ ولا أحد يعلم ماذا سيحرقون في المستقبل. وليس من العسير تصور ردة فعل ميليشيات القوميين المسيحيين -الذين يؤمنون بعقيدة نهاية العالم، والملحمة التي تسبق عودة المسيح- على تعرض البلاد لهجوم جديد. ومهما تكن ردة الفعل تلك، فإنهم على الأقل سيجدون دعماً كبيراً من بعض فئات الحزب الجمهوري.

ويمكن أن يحدث انهيار النظام على نحو خفيّ. إذ حذر عدد كبير من الخبراء من أن المديونية الأمريكية لا يمكن تحملها على المدى البعيد، وأننا على أعتاب أزمة اقتصادية تلوح في الأفق. وكتب بول فوكلر، الرئيس السابق لمجلس الاحتياط الفدرالي، مقالة في صحيفة واشنطن بوست في إبريل من عام 2005، بعنوان: (اقتصاد يقف على صفيح من الثلج) جاء فيها: «إن ثمة توجهات مثيرة للقلق تقبع تحت سطح الاقتصاد الأمريكي: اختلال كبير في التوازن، مخاطر كبيرة، أو سمها ما شئت. فهذه الأوضاع مجتمعة تبدو لي على درجة عالية من الخطورة والتعقيد لم يسبق أن شاهدت مثلها في حياتي، وقد مر علي الكثير. وأكثر ما يقلقني في هذه القضية هو ضعف الإرادة أو القدرة على فعل شيء تجاهها». وبعد عدة شهور، نشرت مجلة أتلانتك منثلي تقريراً أبرزته على صفحة الغلاف بقلم جيمس فالوز بعنوان: (العد التنازلي للانهيار الاقتصادي). وقد صيغ التقرير على شكل مذكرة مقدمة لمرشح للرئاسة الأمريكية لعام 2016 يعاين فيه الدمار الاقتصادي الذي حل بالولايات المتحدة، وجاء فيه: «وفي الختام، يبدو أن النهاية البشعة جلية، ولا مفر منها. وقد وضع علماء الاقتصاد

* صرح الجنرال تومي فرانكس -آمر القيادة المركزية للقوات الأمريكية سابقاً- لمجلة سيغار أوفيشاندو في ديسمبر 2003، بأنه: «في حالة وقوع حادث ضخم مدمر في مكان ما في العالم الغربي، فإن الأمريكيين سيفقدون ثقتهم بالدستور، وستسود النزعة العسكرية في البلاد، مؤذنة ببداية تفسخ أركان دستورنا الحالي».

الترتيب الزمني لتتابع المسببات والنتائج لهذا (الهبوط الاقتصادي الحاد)، وجاءت الأحداث مطابقة تلك التوقعات.

ولو قدّر لهذا الهبوط الاقتصادي الحاد أن يحدث نتيجة لصدمة في قطاع النفط، أو لانهيار قطاع الإسكان، أو لهبوط حاد في قيمة الدولار، أو بسبب أي أزمة أخرى ــ فإن معدلات الفائدة ستشهد ارتفاعاً حاداً مما سينتج عنه عجز قطاع كبير من السكان عن الوفاء بالتزاماتهم المالية، وأهمها أقساط قروض الإسكان ذات المعدلات العائمة، وأقساط ديون بطاقات الاعتماد. وقد يخسر كثير من الأمريكان معظم ممتلكاتهم بما في ذلك منازلهم. وقد يدفع الغضب المتولد عن ذلك إلى إلهاب مشاعر اليمين؛ نظراً لما يتمتع به من بنية تحتية أيديولوجية في معظم أرجاء البلاد. فالأوضاع الاقتصادية السيئة هي مرتع الكراهية؛ كما يعبر عن ذلك بنجامين فريدمان أستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد بقوله: «لقد شهد التاريخ الأمريكي عدة حقب زمنية كان لتراجع الدخل الفردي فيها مدداً طويلة أثَّر في تقويض تسامح الأمة وتهديد حريات المواطنين»[160].

ولقد برزت إبان الكساد الاقتصادي العظيم في الولايات المتحدة حركة فاشية مسيحية صغيرة ـ لكنها فاعلة ـ بزعامة الأب تشارلز كوفلين الذي كان يتخذ من مدينة ديترويت مركزاً لبث برامجه الإذاعية. وكان كوفلين، -الذي يعدّ من أوائل الشخصيات الإعلامية المشهورة عبر أثير المذياع- قد بدأ نشاطه السياسي بصفته واحداً من مؤازري الرئيس فرانكلين ديلينو روزفلت، إلا أن نضاله السياسي الشعبي تحول نحو اليمين بزاوية حادة في منتصف الثلاثينيات إلى أن استحال في النهاية إلى عداوة مسعورة للسامية. وقام عام 1938 بتنظيم أكثر من ألف عنصر من أتباعه في ميليشيا أطلق عليها اسم الجبهة المسيحية، وقامت تلك الميليشيات بعدد من الهجمات على مصالح تجارية يهودية، كما خططت للقيام بعدد من الاغتيالات السياسية[161].

وفي العقود اللاحقة، مهدت أزمة المزارع في الوسط الغربي من البلاد -في الثمانينيات من القرن الماضي- السبيل لترعرع الميليشيات المعروفة باسم (بوسي كوميتاتس)

وهي شبكة من الميليشيات المتأثرة بالهوية المسيحية، وتفرعت عنها حركة الميليشيا التي ظهرت في عهد الرئيس كلينتون. وكان من نتائج الأزمة الزراعية ارتفاع أسعار فوائد القروض، وتراجع أسعار المنتجات، فأتت على المزارعين الصغار الذين غرقوا في القروض التي استدانوها؛ بغية التوسع في مشاريعهم الزراعية، حين كانت معدلات الفائدة متدنية. وخسرت عشرات الآلاف من أسر صغار المزارعين منازلها، وأدى نزع ملكية البيوت والمزارع من هذه الأسر إلى فتح مجال واسع أمام الحركات اليمينية المتطرفة للتنظيم، وزيادة نشاطها وعزو المسؤولية عما حدث إلى اليهود الجشعين أرباب المصارف، الذين استغلوا هذه الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب الأمريكي. وبحلول منتصف الثمانينيات، استجمع لدى ميليشيات بوسي كوميتاتس زهاء 15 ألف عنصر فاعل وأضعاف هذا العدد من المؤيدين والمتعاطفين؛ وأظهر استطلاع للرأي أن أكثر من ربع الذين استطلعت آراؤهم من سكان المناطق الزراعية حمّلت (أرباب المصارف العالمية من اليهود) المسؤولية عن أوضاع المزارعين المزرية[162].

خرجت حركة الميليشيا -التي كانت ناشطة في عدة ولايات في أثناء منتصف التسعينيات- من رحم شبكة بوسي كوميتاتس. ويتألف فكر مناصري ومنظري حركة الميليشيا عادة من مزيج متفجر من نظريات المؤامرة، وتأمين البقاء، وكراهية الحكومة الفدرالية، إضافة إلى الهوية المسيحية؛ وكانت الحركة جزءاً من طبقة وضيعة من السكان تتسم بالعنف وجنون الارتياب، وخرج منها إرهابيون منهم تيموثي ماكفيه الذي فجر المبنى الفدرالي في مدينة أوكلاهوما، وكذلك تيري نيكلز وإريك رودولف الذي قام بعملية تفجير في أثناء الألعاب الأولمبية التي أقيمت في ولاية جورجيا. ومع نهاية العقد الأخير من القرن الماضي، تلاشت الميليشيا وذهبت شذر مذر. أما عقيدتها الوطنية الدينية المتطرفة فقد جنحت إلى التيار العام بدلاً من أن تتوارى إلى نطاق العمل السري.

وهناك أشخاص مثل هاورد فيليبس ينتظرون بفارغ الصبر حدوث فاجعة وطنية تمهد الطريق أمام تطبيق أفكار اليمين المتطرف على أرض الواقع. وأعلن فيليبس في خطاب ألقاه عام 1998 أمام مجلس السياسة الوطنية قائلاً: «...أصدقائي، لقد حان

الوقت للخروج من سفينة التيتانك السياسية، التي طالما اتخذتها الحركة المحافظة مركبها الوحيد لخوض غمار السياسة ... إن مهمتنا الآن هي أن نبني بدلاً من ذلك سفينتنا الخاصة بنا؛ لكي نكون جاهزين لإنقاذ، ومن ثم تجديد أمتنا وثقافتنا حين يرسل (الرب) أمواج الطوفان».

وقد بدأ البناء فعلاً. إذ صدر عن منظمة مكافحة التشهير تقرير عام 2004 يشير إلى أن نشاط الميليشيا عاد إلى الصعود؛ وهناك مجموعة في تكساس تصف نفسها بأنها: (مجموعة من المواطنين المهتمين بشؤون بلدهم، ويشعرون بضرورة الاستعداد لمواجهة انهيار اقتصادي محتمل بسبب الإرهاب في الخارج أو داخل الولايات المتحدة. أو بسبب ضعف القيادة في بلدنا. لقد فقدنا كثيراً من الحقوق التي وهبنا إياها الرب، وإننا لنرى بوادر سوء الطالع تلوح في الأفق)[163].

ومن شأن كارثة عسكرية تتعرض لها البلاد أن تزيد من مشاعر السخط هذه، ويبدو من قبيل المؤكد أن الحرب الأمريكية في العراق -وحتى كتابة هذه السطور- ستفضي إلى نهاية غير محمودة العواقب، وسيكون الضحايا الحقيقيون للفشل الأمريكي في العراق هم العراقيون أنفسهم، إلا أن كثيراً من الأمريكان سيشعرون بالمرارة والهزيمة، وسيتعاطفون مع لغة خطاب الغدر والطعن من الخلف التي بات يروج لها اليمين لتفسير الأخطاء، التي لحقت بمغامرات بوش في الخارج. لقد كانت الهزيمة في الحرب العالمية الأولى هي العامل الذي مهد لظهور الفاشية واستحكامها في ألمانية. إذ دخلت ألمانية الحرب وكان يسودها جو محموم من مشاعر النصر والعزة الإمبريالية، ثم ما لبثت أن غشيتها صدمة عميقة بسبب هزيمتها العسكرية وفقدان مكانتها العالمية. وفي ظل رفض الألمان المحافظين مواجهة حقيقة الهزيمة العسكرية التي منيت بها جيوشهم في ساحة المعركة، فإنهم لجؤوا إلى الترويج للأسطورة القائلة: إن الجيش الألماني طعن من الخلف على يد الخونة المدنيين وبخاصة اليهود. وقد أفضى ذلك إلى حدوث مصادمات عنيفة ضد التحرريين، وإلى نمو سريع للحركات التي تعد باستعادة مجد الحضارة الألمانية، ومواجهة الفساد الذي بات يعصف بالمدن الألمانية.

إن أمريكة، بالطبع، لن تتلاشى عن الوجود بسبب الحرب في العراق كما حدث لألمانية في الحرب العالمية الأولى، كما أنها لن تخسر شيئاً من أراضيها أو تتحمل عقوبات تثقل كاهلها كما حدث في معاهدة فيرساي. ومع ذلك، فإن هزيمة مذلة في العراق سينتج عنها موجات من العنجهية الوطنية داخل أمريكة. وقد يأمل بعض الليبراليين أن ينشأ رفض شعبي عارم للسياسات العدوانية كتلك التي ينتهجها بوش في الشرق الأوسط، إلا أن هذه التوقعات بعيدة الاحتمال -من وجهة نظري-لأن معظم الشبكات الاجتماعية القائمة الآن -التي يمر عبرها غضب الجماهير موجهة إلى الجهة الأخرى. وقد بدأ المحافظون فعلاً بمحاولة تفسير الكابوس العراقي بأنه نتيجة لخيانة الليبراليين. وبحسب أسطورة الطعن من الخلف الجديدة، فإن الصحافة الخائنة التي تسعى إلى المداهنة، تقوم بنقل صورة مشوهة عما يحدث على أرض الواقع في العراق بهدف إضعاف إصرار الشعب الأمريكي ومعنوياته. وفي إبريل من عام 2005، وهو الشهر الذي شهد تصعيداً في أعمال العنف في العراق -، كتب ديفيد ليمبو مؤلف كتاب الاضطهاد: كيف يشن الليبراليون حرباً على المسيحية، يقول: «ليس بوسع المرء إلا أن يستنتج أن الإعلام لا يريد ترويج الأخبار السارّة في العراق؟ ولكن لماذا؟ من الواضح أنهم يطمسون الأخبار الجيدة؛ لأن هذه الأخبار تعزز من موقف الرئيس بوش الذي يمثل خطراً يهددهم، وتضعهم في قفص الاتهام إلى جانب رفاقهم الليبراليين»[164].

لو قدر لأفكار ليمبو أن تكتسب زخماً، لشاهدنا تصعيداً في وتيرة الهجوم على الصحافة، التي ما فتئ اليمين يحاربها باستمرار؛ لأنها تعمل ـ في نظرهم ـ على إضعاف التلاحم الأمريكي، وتسعى إلى إرضاء أعداء الأمة. كما يمكننا توقع تصعيد في الهجوم على أساتذة الجامعات الذين (ليس لديهم انتماء لأمريكة)، كما يمكن أن نشاهد عودة لظهور مشاعر العداء للسامية لدى الأصوليين المسيحيين، الذين سيضعون اللوم على المحافظين الجدد اليهود لتوريط البلد في الحرب من البداية. وفي مثل هذه الأجواء، فإن القومية المسيحية قد تتحول إلى قوة حقيقية وفاعلة

تدفع باتجاه إقامة حكم لاهوتي استبدادي شمولي، بدلاً من أن تكون مجرد حركة تردد خطاباً ذا أصداء استبدادية.

تصحيح مسار المركب

قد يحالف الحظ أمريكة في تجنب وقوع المصيبة، والخروج من مشكلاتها التي تحيط بها. وفي تلك الحال، فإن القومية المسيحية ستبقى قوة تتمتع بتأثير متنام وفاعل على السياسات الأمريكية، بالرغم من أن هذا التوسع سيكون متدرجاً بين كرّ وفر.

ويقف كل من النظام الانتخابي والتوزيع السكاني في البلاد في صف الحركة. وثمة تحيّز عنصري ضد الحضر وسكان المدن متجذر في أصل نظامنا الديمقراطي، وتظهر آثاره في زيادة نسبة تمثيل الولايات الريفية الصغيرة الأكثر ميلاً إلى النزعة المحافظة. ولأن لكل ولاية عضوين في مجلس الشيوخ، فإن الولايات السبع عشرة الأقل سكاناً في البلاد التي يقطنها 7 % من سكان الولايات المتحدة، يسيطرون على أكثر من ثلث مجلس الشيوخ في الكونغرس[165]. وتظهر زيادة نسبة تمثيل الولايات المحافظة كذلك في هيئة الناخبين التي تختار الرئيس الأمريكي. وبحسب ما يذكره ستيفن هيل من مركز التصويت والديمقراطية، فإن مجموع سكان ولايات مونتانا، ووايومنغ، ونيفادا، ونورث داكوتا، وساوث داكوتا، وكالورادو، ونبراسكا، وكانزاس وأوكلاهوما، وأريزونا، وآلاسكا، يساوي مجموع سكان ولايتي نيويورك وماسيتشيوستس، إلا أن أعضاء هيئة الانتخاب الذين يمثلون المجموعة الأولى من الولايات، يزيدون بفارق تسعة أعضاء عن ممثلي المجموعة الثانية مع تساوي عدد السكان في المجموعتين. (ولها كذلك خمسة أضعاف أصوات المجموعة الثانية في مجلس الشيوخ)[166]. وبذلك تصدق مقولة: إن للمحافظين قيمة أكبر، بمعناها الحرفي.

وفي الوقت نفسه، تنتشر ثقافة الكنائس العملاقة انتشاراً واسعاً، وتعد مناطق الضواحي الجديدة حول المدن الكبيرة -التي ينشط فيها التيار المحافظ- الأسرع نمواً في أمريكة؛ وفي عام 2004، صوتت 97 مقاطعة من بين المئة مقاطعة الأكثر نمواً في البلاد لمصلحة الحزب الجمهوري[167]. وقد كان لحداثة هذه المناطق وافتقارها

إلى الجذور التاريخية والثقافية، وانفصالها عن بعضها بعض أثر في تسهيل نشر الواقع الخيالي للقومية المسيحية؛ لأن هناك قليلاً مما يتعارض مع هذا الواقع الوهمي ويصطدم به. وحين يكون فضاء الالتقاء العام محصوراً في مراكز التسوق والكنائس العملاقة، فإن نطاق ما يتعرض له الناس من آراء سيكون ضيقاً جداً. أما الذين يتوقون إلى سماع وجهات نظر مختلفة فسيجدونها بسهولة، غير أن الواقع لا يتدخل لفضح أكاذيب الحركة إلا إذا سعى أحد إلى كشفها.

كما أن الحركة التي تمثّل العالم الاجتماعي بأسره لأعضائها تتمتع بقبضة محكمة على هؤلاء الأعضاء يصعب الانعتاق منها. وفي هذا الصدد تقول حنّة آرندت: «إن التفتت الاجتماعي، والنزعة الفردية المتطرفة تسبقان تكوين الحركات الشعبية التي تجذب الأفراد غير المنتظمين في الأحزاب السياسية الذين يرفضون -لأسباب فردية- الاعتراف بالروابط والالتزامات الاجتماعية»[168].

كما أن انتخاب رئيس ديمقراطي عام 2008 -على أهميته في الإبقاء على كثير من الحريات الأساسية- لن يوقف نمو القومية المسيحية، ولن ينقض مكتسباتها، وإن كان سيحوّل طاقات تلك الحركة إلى وجهات جديدة. لقد حقق اليمين المسيحي أعظم إنجازاته في التنظيم إبان حكم الرئيس السابق كلينتون، حين ركز اليمين المسيحي جهوده نحو السياسات المحلية، فتمكن من السيطرة على الدوائر الانتخابية للحزب الجمهوري دائرة تلو أخرى، ومقاطعة تلو مقاطعة. ولأن القوميين المسيحيين باتوا يسيطرون على القاعدة الشعبية للحزب، ونظراً لتمتع الحزب الجمهوري بميزة هيكلية في الكونغرس، فإن اليمين المسيحي سيؤدي دوراً قوياً في الحكومة حتى وإن صوتت غالبية الشعب الأمريكي ضد برامجه. وسيجد أي رئيس جديد ديمقراطي صعوبة في تسيير دفة الحكم. وسوف تتكتل القوى التي لاحقت كلينتون في أثناء حكمه -وهي الآن أقوى من أي وقت مضى- لتكون جاهزة للهجوم قبل أن يؤدي أي رئيس ديمقراطي جديد اليمين الدستوري لممارسة الحكم.

إن حث جمهور الناخبين على الخروج للإدلاء بأصواتهم لن يكون كافياً. ولن تكفي الحماية الدستورية، ولا حتى أسطورة (الاعتدال) التي يقال: إنها متجذرة في الشخصية الأمريكية. إن الذين يرغبون في محاربة اليمين المسيحي سيحتاجون إلى

إستراتيجية متشعبة وطويلة الأمد. وأنا أرى أن تكون على ثلاثة مسارات: إصلاح في قانون الانتخاب، بحيث يعطي المناطق الحضرية نصيبها العادل من التمثيل في الحكومة الفدرالية، وتنظيم شعبي لمساعدة أفراد الأمة في محاربة القومية المسيحية على أرض الواقع، وحملات إعلامية توجيهية لتوعية الناس بالأجندة الحقيقية للحركة.

ولست أتحدث هنا عن التوفيق وجبر الخواطر. ولا شك في أنه سيكون من الأفضل لأمريكة لو خرج منها قائد يمكنه تقدير مطالب ومظالم الطرفين، ويتوصل إلى هدنة ما ليصلح هذا الشرخ الذي بات يثقل كاهل أمريكة من الداخل. إن المخاوف التي يتحدث عنها ويركز عليها اليمين المسيحي -وهي عنصر جذب له من عامة الناس- هي مخاوف حقيقية ـ كالخوف من التفسخ الاجتماعي، وعدم استقرار الأسرة، والتردي الثقافي ـ وينبغي الاعتراف بوجودها، والتعامل معها قدر المستطاع. غير أنه لما كان هدف الحركة هو تدمير المجتمع العلماني وفرض أيديولوجيتها عن طريق القوة السياسية، فإنه يجب محاربتها وليس ملاطفتها واسترضاءها.

وبالمثل، ومع أنني أدعم الكفاح الليبرالي لتحقيق العدالة الاقتصادية ـ المتمثل بأجور عالية، وتأمين صحي شامل، وتعليم بكلفة تكون في متناول الجميع، وتقاعد وظيفي آمن ـ فإنني لا أعتقد أن الرخاء الاقتصادي وحده سيكون مؤثراً في تحييد اليمين المسيحي. إن المصالح الثقافية هي مصالح حقيقية، وكثير منها له تأثير أكبر بكثير من تأثير المصالح المادية. وكما أشارت حنّة آريندت، فإن الحركات الشمولية نجحت دائماً في تفنيد وإرباك المراقبين والمحللين، الذين يحاولون تحليلها من منظور الطبقة الاجتماعية*.

* كتبت آريندت تقول: «بالنظر إلى أن التاريخ الأوروبي جميعه تقريباً -وعبر قرون عدة- علّم الشعوب هناك الحكم على كل فعل سياسي بحسب قاعدة: (من هو المستفيد) والحكم على كل الأحداث السياسية بحسب المصالح الخاصة التي تقف خلفها، فإن تلك الشعوب فوجئت بأمر غير مسبوق لم يكن بالإمكان توقعه. ولم تحمل الدعاية الإعلامية الاستبدادية محمل الجد بسبب طبيعتها الغوغائية، بالرغم من أنها كانت تصرح بكل وضوح قبل استيلائها على السلطة بأن الجماهير التي تؤيدها لم تكن تتحرك بدافع المحافظة على الذات».
(Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (1951; reprint, New York: Harcourt, 1994), p. 348).

إن الأيديولوجيات التي تلبي الاحتياجات العميقة المتعلقة بالوجود هي أيديولوجيات قوية ومؤثرة. والقوميون المسيحيون لديهم واحدة منها، في حين لا يملك منافسوهم أيديولوجية مشابهة. ويوجد لدى الليبرالية المعاصرة عدد من الأفكار والسياسات المقترحة، ولكن وفي ضوء التردي المأساوي الذي لحق بفكرة الحكم الطوبائي في القرن العشرين، فإنه يمكن تفهم نفورها من النظريات السياسية الراديكالية الشاملة. فهي تقف موقف الحذر والمتشكك؛ لأن الليبراليين لا يسعون إلى إعادة صنع العالم؛ بل كل ما يطمحون إليه هو أن يحسنوا من أحواله قليلاً. ولأنها تتصف بالحكمة أكثر من الإثارة، فقد كان لليبرالية مدافعون عنيدون، ولكنها لم تحظَ إلا بعدد قليل من الإنجيليين المتحمسين المثيرين للعواطف. وليس من المتوقع أن تتغير هذه الحال في المستقبل القريب؛ لأن الرؤى الكلية المتفائلة لا يمكن أن تتحصل عن طريق طلبها من مراكز الأبحاث كما تطلب توصيات السياسات، مع أن البنية التحتية الفكرية ضرورية في تطويرها. ومثل هذه البنية التحتية ما زالت في طور الإنشاء؛ وهناك مجموعة تطلق على نفسها الائتلاف من أجل الديمقراطية، أعربت عن عزمها تخصيص عدة مئات من ملايين الدولارات لإنشاء (مصانع أفكار ليبرالية) تكون قادرة على منافسة مراكز الفكر المحافظة، بوصفها مؤسسة التراث ومعهد المشروع الأمريكي. وهذه الخطوة تبعث على الأمل، لكنها ستحتاج إلى سنوات؛ كي تؤتي ثمارها.

ويحدو بعض الليبراليين أمل في أن يكون اليسار المسيحي، الذي ظهر حديثاً كفيلاً بالتصدي لليمين المسيحي. ومنذ إعادة انتخاب بوش، بدأ القس الإنجيلي جم ووليس مؤسس جمعية سوجورنرز الموقوفة لأهداف السلام والعدالة الاجتماعية، يلقى الحفاوة والترحيب لدى الديمقراطيين. ويعد ووليس -إلى جانب رجال دين آخرين مثل بوب إدغر، الأمين العام للاتحاد الوطني للكنائس، وسي ويلتون غادي- القس المعمداني الذي يرأس ائتلاف حوار الأديان، صوتاً قوياً ومهماً في مواجهة اليمين. ونشر ووليس قبيل انتخابات عام 2004 بياناً رائعاً وقّعه أكثر من مئتين من رجال الدين وعلماء الأخلاق بعنوان: (إعلان الولاء للمسيح في عالم يسوده العنف)، وهو بيان بليغ يرفض ما تفعله القومية المسيحية باسم الدين المسيحي. وجاء فيه: «إن أيديولوجية الحرب

التي تنبعث من الدوائر العليا في الحكومة الأمريكية قد باتت تطغى على كنائسنا. وانتشرت معها لغة (الإمبراطورية الورعة) على نطاق واسع. وجرى الخلط بين دور الرب، والكنيسة، والأمة حين يتحدث الناس عن (المهمة) الأمريكية، وعن (التكليف الرباني) لأمريكة من أجل «تخليص العالم من الشر».

ويتابع البيان قوله: «إننا نرفض التعاليم الخاطئة القائلة: إن أمريكة هي (أمة مسيحية)، تمثل الفضيلة الوحيدة، في حين يمثل منافسوها مجموعة من الأشرار، ... وفي الوقت الذي نرفض فيه مقولة: إن أمريكة تمثل معظم الشر في العالم، فإننا نرفض كذلك الاعتقاد بأن أمريكة لم ترتكب فعلاً يستوجب الندم أو التوبة. إذ الجميع أخطؤوا وأعوزهم مجد (الرب) (رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الثالث، رقم 23)».

إن صوت ووليس ومن شابهه في النهج من رجال الدين، هو صوت بالغ الأهمية. فهو تذكرة للعلمانيين بعدم الخلط بين الدين المتسامي، وبين عقيدة اليمين الانتقامية وتظاهره بالتقوى، وهو كذلك تذكرة للمؤمنين بأن المسيح ليس حكراً على الحزب الجمهوري. ونأمل أن يتمكن ووليس وغيره من القادة في اليسار المتدين من إيجاد قنوات تستوعب نصيباً من حمى التدين الأمريكي، وتصريفها باتجاه تخفيف وطأة الفقر الذي تفاقم بسبب حكم الجمهوريين.

وعلى الرغم من أن الليبراليين المتدينين هم عنصر مهم في أي حركة تأخذ على عاتقها محاربة القومية المسيحية، إلا أنهم ليسوا نداً مكافئاً لليمين المحافظ. إذ ليس من المتوقع أن يقبل المسيحيون التقدميون بتحويل كنائسهم إلى مراكز تابعة لحزب سياسي، كما هي حال كنائس المحافظين، مثل كنيسة وورلد هارفست التي يرعاها القس رود بارسلي، وليس لديهم استعداد لاتباع رجال دين يتلقون الأوامر من عملاء سياسيين في واشنطن. وقد سبق لجم ووليس أن قال: إنه ليس هناك موقف مسيحي من الحيل، التي يلجأ إليها الحزبان في مجلس الشيوخ بهدف تعطيل أو تأخير التصويت على بعض القوانين أو التعيينات. وفي المقابل يقول اليمين المسيحي: إن هناك موقفاً مسيحياً من كل شيء، وهذه الرؤية، وبالرغم من أنها مفلسة من الناحية الروحية، إلا

أنها من الناحية السياسية قوية إلى حد لا يصدق. إذ ليس هناك حافز للمرء أقوى من أن يعتقد أنه ينفذ أوامر (الرب) الصريحة.

الأمريكي العادي

ليس من الضروري أن تكون الحركة المناهضة للقومية المسيحية حركة شمولية، إلا أن عليها أن تكون مستعدة لخوض معارك سياسية شرسة وبشعة. وقد تظهر مثل هذه الحركة مع مرور الوقت وتوافر الدعم اللازم. ولعل من المفارقات أن تنشأ مثل هذه الحركة وسط طائفة من الناس تتعرض اليوم للسخرية والذم؛ لعدم توافقها مع المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه، ولتخلفها عن ركب سكان الضواحي الأكثر ورعاً وتديناً.

فالثقافة الأصولية المضادة التي ترعرعت فيها القومية المسيحية، كانت أساساً نتاج مشاعر استياء عميقة أوجدها وروّج لها نفر يبغضون القيم الليبرالية، ثم تبناها قطاع عريض من المواطنين. وكانت الحركة ملاذاً لأناس شعروا بالغضب والهزيمة، وسعوا إلى إثبات مصداقيتهم وسط ثقافة بدت وكأنها تكيل لهم الإهانات باستمرار. وفي النهاية، استغل بعض الأشخاص الحاذقين هذه الفئة حديثة النشوء من المؤمنين الحانقين، ونجحوا في تحويلها إلى قوة سياسية كبيرة ومؤثرة، إلا أن العقيدة ومشاعر السخط جاءت أولاً. ومنشأ أي حركة شعبية يجب أن ينبثق من هدف أعمق بكثير من مجرد السعي نحو تشكيل حركة وحسب.

ويوجد في أمريكة اليوم مجموعة من الناس تتعرض مُثُلُها وقيمها للهجوم والتهكم من قبل القيادة العليا في هذا البلد. ويتمّ تحييدهم ورفضهم؛ لأنهم (ديناصورات) يعيشون في عالم منقطع الصلة (بالشعب) وبالمصير الحتمي الذي تدفع باتجاهه قوى التاريخ. ويُعدّون (وصمة عار) حتى في نظر عدد من قادة الحزب الذي ينتمون إليه، وعادة ما تتجاهلهم وسائل الإعلام. ويتهمهم أشخاص في مراكز عليا في الحكومة بالخيانة.

إنني أتحدث -بلا ريب- عن الليبراليين، ولا سيما الليبراليين العلمانيين المتحضرين سكان المدن. ويتم تهميش وتحقير هؤلاء التقدميين، والمفكرين، الذين يقطنون في

أكثر أجزاء البلاد إبداعاً وحيوية، على يد أولئك الذين يعتقدون أن (أمريكة) عبارة رديفة للمناطق الأكثر تديناً في البلاد. كما أن الطعن والقدح الذي يكيله اليمين على المدن الأولى في هذا البلد، وعلى سكانها هو أمر غير عادي ولافت للنظر، ولا يلقى اهتماماً من وسائل الإعلام. وفي أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية لعام 2004 التي خاضها جورج بوش ضد كيري، كان بوش الذي ظهر بمظهر الساعي لأن يبقى رئيساً للبلاد كلها بأطيافها كافة يتلفظ بكلمة (ماسيتشيوستس) وكأنها شيء قبيح، حين قال: «ماذا تتوقعون من عضو في مجلس الشيوخ يمثل ولاية ماسيتشيوستس؟» وذهب رك سانتوروم إلى أبعد من ذلك حين أنحى بالمسؤولية عن «الفساد الثقافي» الذي حل بالمدن بسبب فضائح الاعتداءات الجنسية في الكنيسة الكاثوليكية، فكتب يقول: «ليس من العجيب أن تقع مدينة بوسطن -وهي المركز الأكاديمي والسياسي والثقافي لليبرالية في أمريكة- في مركز تلك العاصفة»[169].

والأنكى من ذلك هو الإعلان الذي وضعه نادي النماء اليميني المحافظ مستهدفاً به النيل من هاورد دين في أثناء حملة الانتخابات الأولية لاختيار مرشح الحزب الديمقراطي، الذي سينافس مرشح الجمهوريين في الانتخابات الرئاسية العامة. وعرض هذا الإعلان صورة زوجين متقدمين في السن من وسط البلاد، وهما يتذمران من صنف من الأمريكيين الذين يقطنون شمال شرقي وشمال غربي البلاد. ويبدأ الزوج بالقول: «أعتقد أن على هاورد دين أن يأخذ جماعته الذين يحبون رفع الضرائب، وتوسيع الحكومة، وشرب الحليب بالقهوة، وأكل السوشي، واقتناء سيارات الفولفو، وقراءة صحيفة نيويورك تايمز... وتتابع زوجته: «... وثقب أعضاء أجسامهم، وأفلام هوليوود، أن يأخذ كل هؤلاء وخطتهم اليسارية المتطرفة والغريبة ويعود بهم إلى فيرمونت؛ ليبقوا هناك في مكانهم المناسب». والآن، تصوّر لو أن منظمة موف أون الليبرالية عرضت إعلاناً مناهضاً لبوش يصف أتباعه بمحبي اقتناء البنادق، وتقليب صفحات الإنجيل، والسيارات المستهلكة للوقود، والأكل في ماكدونلدز، والتشهير بالشواذ... أن يأخذ هؤلاء وخطتهم اليمينية المتطرفة والغريبة... لو ظهر إعلان كهذا، فلن يتوقف عويل اليمين وشكواهم من

النخبة العلمانية العاتية واحتقارها لما يطلقون عليه: (الأمريكي العادي). ولأن الروح الأمريكية في نظر المحافظين هي خليط من النزعة الإقليمية الريفية الضيقة، وثقة المرء بإيمانه، ومناهضة الفكر والعقلانية، فقد لجؤوا إلى الطعن في وطنية وولاء كل شخص يرى أن تلك الصفات صفات بغيضة ومنفرة، ولا نكاد نجد في الإعلام من يتصدى لهم في ذلك. (وبالمناسبة، كان الإنجيليون المحافظون هم الطائفة الدينية الوحيدة التي صادفتها تبيع القهوة بالحليب في كنائسها).

وبالأخذ في الحسبان كل ما وجه إليهم من احتقار وازدراء، فإنه ليس من المستغرب أن يظهر لدى بعض التقدميين توجهات انفصالية. وفي الأيام الكئيبة التي أعقبت انتخابات عام 2004، وجد بعض الليبراليين بعض العزاء والسلوى في خرائط تظهر كندة، وقد توسعت حدودها لتشمل الولايات الزرقاء تحت لواء ديمقراطيتها الليبرالية، فيما تركت الولايات الحمراء لتشكل (أرض يسوع). وقام آخرون بتوزيع منشورات أخذت من موقع مناهض للولايات الجنوبية، وبعبارات لاذعة تستنكر الغلو في التعصب الوطني السائد في تلك المناطق، وباستخدام العبارات ذاتها التي تعكس العداوة المتعلقة بالفئات التي يتسم بها اليمين، جاء فيها: (خذوا تحقيركم لليبراليين، وتطفلكم على الضرائب الفدرالية، وتلويحكم بعَلَم التحالف، ونفاقكم، ورياءكم الزائف، واجعلوه في مؤخرتكم).

وفي حديثه في برنامج ماكلافلين غروب الذي يبث في عطلة نهاية الأسبوع، وبعد فوز بوش، أشار لورانس أودونل -وهو معاون سابق لأعضاء ديمقراطيين في مجلس الشيوخ- إلى أن الولايات الزرقاء* هي التي تموّل الولايات الحمراء بما تدفعه من ضرائب، وقال: «إن المشكلة الكبرى في هذا البلد الآن -وهي المشكلة التي ستفرز مناقشات حادة على مدى العشرين عاماً القادمة- هي أن المناطق التي تدفع مصاريف الحكومة الفدرالية في هذا البلد يحكمها الأشخاص، الذين لا يدفعون شيئاً للحكومة الفدرالية».

* جرت العادة في التغطية الإعلامية للانتخابات الأمريكية أن تمثل الولايات ذات التوجه الليبرالي، التي تكون من نصيب الحزب الديمقراطي في الانتخابات باللون الأزرق، وتلك التي تصوت لمصلحة الحزب الجمهوري باللون الأحمر.

فسأله توني بلانكلي الذي بدت عليه علامات الدهشة: «هل أفهم من كلامك أنك تدعو إلى حرب أهلية؟» فرد عليه أودونالد: «بإمكانكم الانفصال دون إطلاق رصاصة واحدة».

والانفصال -بالطبع- ليس خياراً وارداً، وحتى وإن كان كذلك، فإنه ليس من المقبول أن يتخلى الليبراليون عن أنصارهم الموجودين في الولايات اليمينية المحافظة، وأن يتركوهم تحت رحمة أمثال روي مور وديفيد بارتون. بل يجب أن نبذل جهداً مضاعفاً للتواصل ومد يد العون لليبراليين، الذين يعيشون في المناطق التي يسيطر عليها القوميون المسيحيون. إنهم الأشخاص الذين يواجهون المقاومة الأشد.

وثمة حاجة إلى توعية سكان الولايات الزرقاء بالإجحاف الذي لحقهم من النظام الانتخابي القائم؛ لأن هذا النظام يحرمهم من حقهم بالتمثيل العادل في الحكومة، في الوقت الذي يعطي لأكثر المناطق تعصباً في البلاد سلطات لا تتناسب مع حجمها السكاني. ولعل رفع مستوى الوعي الشعبي بهذه القضية -إلى جانب ما يشعر به كثيرون من مواقف عدائية صادرة عن الولايات المحافظة- أن يكون حافزاً لحملة شعبية تطالب بالتمثيل العادل للسكان. ولا ننسى أن ردة الفعل ضد الليبرالية هي التي دفعت اليمين ليصبح أفضل قوة سياسية منظمة في تاريخ السياسية الأمريكية؛ ولعل ردة فعل مشابهة ضد اليمين أن تحرك الليبراليين والمعتدلين.

إن الكفاح ضد حكم القوميين المسيحيين يجب أن يكون -في النهاية- كفاحاً من أجل الإصلاح الانتخابي. ويلزم على الليبراليين أن يسعوا إلى إلغاء نظام التصويت على مرحلتين في الانتخابات الرئاسية، بل وحتى تعديل طريقة تكوين مجلس الشيوخ، وذلك بتقسيم بعض الولايات ذات الحجم السكاني الكبير. (ولعل الشروع بحملة للمطالبة بجعل مدينة نيويورك ولاية بحد ذاتها أن يكون بداية حسنة). وستكون هذه المهمة مهمة عصيبة وشاقة. وبالنظر إلى أن المحافظين اعتادوا إطلاق العنان لإيحاءاتهم الخيالية، بأنهم ضحية اضطهاد النخبة الليبرالية من الولايات الشمالية الشرقية، فسوف يتطلب الأمر وجود حركة كبيرة وكاسحة لنزع السلطة من أيديهم. ولن تظهر مثل هذه الحركة إلا إذا توقف عدد كافٍ من الليبراليين عن تصديق سخرية اليمين

بهم بأنهم منقطعو الصلة (بالأمريكيين الحقيقيين)، والشروع بدلاً من ذلك بالتعبير عن غضبهم من كونهم محكومين من قبل أشخاص رجعيين متزمتين منقعطي الصلة بالأمريكيين الحقيقيين.

والأهم من ذلك هو أن ولايات الوسط ليس لديها أي مستند أخلاقي. ونجد أن الولايات التي تستهوي الناخبين فيها (القيم الأخلاقية) قد سجلت أعلى نسب في الطلاق وحالات الحمل في سن المراهقة. كما أن أعلى معدلات جرائم القتل هي في الولايات الجنوبية، في حين أن أقلها كان في الولايات الشمالية الشرقية[170]. أما أفضل خمس ولايات من حيث أداء المدارس الحكومية -ماسيتشيوستس، وكناكيتكت، وفيرمونت، ونيو جيرسي، وويسكونسن- فهي جميعاً من الولايات الليبرالية التقدمية. أما أسوأ خمس ولايات من حيث أداء المدارس الحكومية -نيو ميكسيكو، ونيفادا، وآريزونا، وميسيسبي، ولويزيانا- فكانت كلها من نصيب بوش في الانتخابات الأخيرة[171].

وما تزال ثقافتنا تتمسك بالخرافة الشعبية التي تؤمن بكياسة ونقاء وسط أمريكة، وذلك بالرغم من كل الأدلة التي تشير إلى نقيض ذلك. وقد عانى الليبراليون من تهمة (النخبوية) التي توجه إليهم، وأن خطابهم لا يعكس سوى قيمهم الشخصية. وإلا فكيف نفسر ندرة النقاش على المستوى السياسي حول التأخر الإقطاعي، والتراجع الأخلاقي الذي ينتج في كل فرصة ينتهزها القوميون المسيحيون لوضع سياساتهم موضع التطبيق؟

إن الإشاعة الكاذبة بأن الحروب الثقافية هي صراع بين (النخب) وبين (الأمريكيين العاديين) هي إشاعة تعطي فكرة خاطئة عن وجود انقسام عميق بين أصناف مختلفة من الأمريكيين العاديين، وكلهم يشعرون بأنهم مهددون من قيم (الطرف الآخر) الغريبة والمحيّرة. ومن الغريب أن الليبراليين بانجرافهم وراء فخ النخبوية بدؤوا يفكرون فعلاً، وكأنهم نخبة منقطعة الصلة بمحيطها. وبدلاً من التأمل في ماهية السياسات التي ستحسن حياتهم، ونوع البلد الذي يعيشون فيه، والأشخاص الذين سيمثلونهم -ومن ثم تقرير كيفية جذب الآخرين لرؤيتهم- ذهب التقدميون يتخبطون

في أفكار ورموز ظنوا أنها ستستميل بعض السذّج من سكان الأرياف في وسط البلاد. وهذه هي عين العجرفة والاستعلاء.

بناء حركة

حين أتحدث عن الليبراليين والتقدميين، فإنني لا أعني بذلك الحزب الديمقراطي، مع أنه يمثل حتى الآن الوسيلة العملية الوحيدة لتحقيق تطلعاتهم. ومن المحتمل جداً أن يضطر الحزب الديمقراطي في المستقبل القريب إلى تقديم تنازلات للمحافظين المتدينين. فمثلاً، يعدّ دعم زواج ذوي الميول الجنسية المثلية من القضايا العادلة والأخلاقية، ومع ذلك، وفي هذا الوقت فإن دعم هذه القضية هو في حكم الانتحار الانتخابي. كما أن خيار الإنجاب من المبادئ الديمقراطية الأساسية، ولكن كان من مصلحة الحزب الديمقراطي أن يساند روبرت كيسي من ولاية بنسيلفينيا -وهو من الديمقراطيين المعارضين للإجهاض- في حملته الانتخابية ضد الجمهوري ريك سانتوروم عام 2006. ومن كان يفضّل أن يرى ديمقراطياً يفوز في الانتخابات، على سماع ترديد المثل الليبرالية في خطاب الإقرار بالهزيمة أمام خصمه الجمهوري المحافظ، فعليه أن يظهر درجة من القبول بالسياسات القائمة على الاعتبارات العملية بدلاً من الاعتبارات الأيديولوجية. ففوز كيسي في واقع الأمر سيساعد في حماية خيار الإنجاب، وذلك بجعل الديمقراطيين أقرب إلى السيطرة على مجلس الشيوخ، وحرمان القوميين المسيحيين من واحد من أقوى حلفائهم في الحكومة. وإن من دواعي الأسى والمرارة لدى الملتزمين بحقوق الإجهاض أن يدعموا مرشحاً نذر نفسه لسلب تلك الحقوق من أصحابها. ولا يسع المرء إلا أن يأمل في أن تتحول تلك المرارة إلى حافز يدفع الناشطين إلى بناء ثقافة تقلل من الحاجة إلى تقديم مثل هذه التنازلات.

وإذا كان هذا يناقض ما دعوت إليه من التأكيد على اعتزاز التقدميين بمبادئهم؛ فلأن الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية تعمل كل منها بطريقة مختلفة. فالأحزاب السياسية تخاطب المعتقدات القائمة التي يؤمن بها الناس. أما الحركات الاجتماعية فتعمل على تغيير تلك المعتقدات. وحين يتوقع الناشطون أن تعمل الأحزاب السياسية

عمل الحركات -ترشيح أشخاص متشددين في التغيير، مثل باري غولدووتر أو جورج ماكفرن- فإن النتيجة ستكون كارثة سياسية. إذاً، يجب على الحركة أن تشكل الثقافة أولاً قبل أن يكون لأي مرشح يحمل قيم تلك الحركة فرصة في الفوز في الانتخابات.

ومن الطرق التي يمكن للتقدميين أن يسلكوها لبناء حركة اجتماعية، والعمل على مناهضة القومية المسيحية في آن واحد هي التركيز على السياسات المحلية. ولا يحتاجون إلى دليل في ذلك سوى النظر إلى الائتلاف المسيحي: إذ لم ينجح الائتلاف المسيحي في تطوير أدواته الانتخابية على المستوى الوطني فعلاً، إلا بعد نجاح بل كلينتون ونفيهم من موقع السلطة في واشنطن. وكتب رالف ريد في ذلك الوقت يقول: «كيف يتسنى للحركة المؤيدة للأسرة أن تتعافى من الانتكاسة التي لحقت بها، وتسترجع نشاطها الذي عهدته في السنوات الأولى من عهد ريغان؟ لقد اختاروا طريق التركيز على السياسات والقضايا المحلية. وبهدوء، بدأ الائتلاف المسيحي بوضع شبكة متينة من الناشطين على المستوى الشعبي المحلي، فقاموا بتنظيم نشاطهم على مستوى الأحياء السكنية، وبرعاية ورشات تدريبية، وتحديد الناخبين المتعاطفين مع قضاياهم، وتوزيع منشورات لتوعية الناخبين»[172].

وطور الائتلاف المسيحي مهارة في صياغة القوانين المحلية والتعديلات التابعة لها؛ لكي تصبح كالإسفين الذي يقسم الآراء في القضايا التي يتناولها ذلك القانون، وحشد قاعدتهم الشعبية، وإرغام الطرف الآخر على الدفاع عن مواقف تبدو متطرفة. فمثلاً، تحظى الحملات الإعلامية الداعية إلى وجوب أخذ موافقة أولياء الأمر على إجراء عمليات إجهاض الفتيات دون سن البلوغ، وتحظى هذه الحملات بتأييد شعبي واسع وتضع الحركة المنادية بالخيار في موقف دفاعي حرج، على حين تقدم لأنصار الحياة خبرة سياسية ثمينة. وقد تمكن جورج بوش حين كان حاكماً لولاية تكساس من أن يجعل من معارضة الديمقراطيين في تكساس للزوم إخبار أولياء الأمر بعملية الإجهاض قضية من القضايا المهمة في حملته الانتخابية. وتمكن في النهاية من سَنّ قانون يلزم إخبار أولياء الأمر بالإجهاض، واستخدم تلك الحادثة في حملته الانتخابية الرئاسية الأولى للتدليل على موقفه المؤيد للحياة دون تخويف النساء المعتدلات[173].

وبإمكان الليبراليين استخدام تلك الإستراتيجية، ويمكنهم العثور على قضايا تظهر وتستغل تطرّف الطرف الآخر، وتمكنهم من تسجيل بعض الانتصارات السياسية، وعلى قدر مساوٍ من الأهمية، تهميش القوميين المسيحيين في نظر المواطنين. ويمكن للتقدميين أن يعملوا على سن قوانين محلية على مستوى البلدية والولاية عن طريق مبادرات الاستفتاء الشعبي متى كان ذلك ممكناً، وقطع التمويل الحكومي عن أي منظمة تمارس التمييز والتفرقة على أساس الدين. ولأن جزءاً كبيراً من تمويل المنظمات الدينية يوزع عن طريق الولايات، فإن من شأن مثل تلك القوانين أن تضع حداً للتحيز الذي تمارسه منظمة جيش الخلاص، وغيرها من الجمعيات الدينية التي تمول من جيوب دافعي الضرائب. (وبالطبع تبقى الجمعيات والمنظمات الدينية حرة في رفض توظيف أتباع الديانات الأخرى - ولكن عليهم أن يفعلوا ذلك من دون أموال الحكومة). وإلى جانب إصلاح فوري لوضع غير عادل، فإن من شأن حملة وطنية لإنهاء التمييز المدعوم من الدولة أن يضع القضية في بؤرة التركيز العام. وفي الوقت الحالي هناك عدد قليل من الناس يدرك ذلك، وبجهود بوش، تستطيع المنظمات الدينية أن تأخذ من أموال الضرائب وترفض صراحة توظيف اليهود، أو الهندوس، أو البوذيين، أو المسلمين وغيرهم. إن هذه القضية تحتاج إلى مزيد من التوعية العامة، وإلى معركة سياسية -أو سلسلة منها- لتحقيق تلك التوعية. ومن شأنها أيضاً أن تجبر القوميين المسيحيين على أن يفسروا لنا لماذا يجب أن يسمح لهم بممارسة التمييز في الأموال العامة. والأفضل من ذلك، أن من شأن تلك الحملة أن تسهم في خلق بنية تحتية على المستوى الشعبي، شبكة من الناس ممن يتمتعون بخبرة سياسية والتزام بالتعددية.

ويمكن للتقدميين أن يعملوا على سن تشريعات تفرض على الصيادلة وجوب صرف أدوية منع الحمل. (مثل هذه التشريعات اقترحت بالفعل في كاليفورنيا، وميزوري، ونيوجيرسي، ونيفادا، ووست فيرجينيا). وإعلانات تأييد هذه التشريعات ستكتب نفسها بنفسها من الناحية العملية. تصوّر أن زوجين يتشاوران مع طبيبهما ويقرران أنه ليس بوسعهما إنجاب مزيد من الأولاد. فيكتب الطبيب لهما وصفة لمنع الحمل، فتأخذ الزوجة تلك الوصفة إلى الصيدلاني، فتعود إلى بيتها ومعها منشورات

دينية. ويمكن للحملة أن تستخدم أحد أنجح الشعارات التي ابتكرها أنصار حقوق الإجهاض: (من الذي يقرر - أنت أم هم؟).

♦

وإلى جانب الجهود لتغيير الخريطة الانتخابية على المستويين المحلي والوطني، فإن على الليبراليين أن يعملوا على إيجاد منظمات جديدة مسخرة للتدخل في المعارك الثقافية المحلية. وعلى مدى الأعوام السابقة، قام عدد من الجماعات التي أنجزت أعمالاً مهمة ضد اليمين المسيحي عن طريق الضغط، والتحدي القانوني، والبحث العلمي المعارض، من أهمها على الإطلاق الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، ومنظمة الطريقة الأمريكية، والاتحاد الأمريكي للفصل بين الكنيسة والدولة، والمركز القانوني للفقراء في الجنوب. وما كان ينقصنا هو وجود منظمة شعبية على المستوى الوطني يمكنها دعم، الذين يقاومون اليمين المسيحي في مجتمعاتهم المحلية.

ويوجد لدى المحافظين أعداد كبيرة من العملاء السياسيين الذين يقدمون الدعم للأشخاص، الذين يعملون في وضع مناهج تدرس القول بالخلق في مدارسهم، أو إصدار قوانين مناهضة للشواذ في مدنهم وولاياتهم. وبحسب ما يذكر جف براون -عضو مجلس مدرسة دوفر في ولاية بنسيلفينيا؛ الذي استقال من عضوية المجلس بعد أن صوّت رفاقه في المجلس على إقرار تدريس التصميم الذكي- فإن بل بكنغهام -رئيس لجنة المناهج- حين أعلن أول مرة عن حملته ضد داروين، كان يتفاخر بأن جماعات ومنظمات في طول البلاد وعرضها اتصلت به لتقدم دعمها ومؤازرتها له. وقال براون: «حين يقوم أي شخص بإطلاق عبارة غبية مثل: (كتاب الأحياء هذا ممزوج بالداروينية)، فإن هناك -على ما يبدو- شبكة كاملة» تنشط إلى العمل والحركة فوراً. وقد كان المحامون من خارج الولاية والعملاء السياسيون هم الذين نبهوا بكنغهام وقدموا له النصيحة باستخدام عبارة: (التصميم الذكي) بديلاً عن عبارة الخلق.

لم يخِفَّ أحد لمساعدة براون وزوجته. ولما بدأ بكنغهام بالحديث عن التصميم الذكي، كان ذلك مفاجأة لبراون وزوجته كيسي - إذ لم يكونا على دراية بتلك

العبارة ومدلولاتها. تصوّر لو كانت هناك منظمة تتخصص بتقديم الدعم للأشخاص الذين يجدون أنفسهم قد انجرفوا إلى خوض الحروب الثقافية، فسيكون بوسع تلك المنظمة أن تتصل بأسرة براون؛ لترشدهم إلى مراحل تقدم النزاع حول النشوء والارتقاء، وتزودهم بآخر المعلومات عن التصميم الذكي، من أين جاءت هذه النظرية وكيف تدحض؟

وبإمكان مثل هذه المنظمة أن تكون حلقة وصل بين الأشخاص الذين يواجهون تحديات مشابهة في مدنهم وبلداتهم، فيناقشون عبرها أي الإستراتيجيات وأي الحجج تعمل وأيها لا تعمل. ويمكنها أن تقدم تدريبات على أصول الحملات الإعلامية للمبتدئين في النشاط السياسي، والذين يرغبون في خوض انتخابات مجالس المدرسة أو البلدية، وأن ترعى جولات خطابية يتحدث فيها الأشخاص الذين مروا بتجارب عملية في تحدي اليمين المسيحي. فمثلاً، أبدت كيسي براون استعدادها لإشراك الآخرين في تجربتها. وقالت: «إنني أريد أن أخرج إلى الناس وأقول لهم: هذا ما حدث لنا، وهذا ما ستحتاجون إلى فعله إن تعرضتم لموقف مشابه... لعلنا بذلك أن نساعد مجتمعات أخرى».

إن المنظمة التي نفتقر إليها هي المنظمة التي يمكنها مساعدة الناس في كسب ود جيرانهم، وليس التغلب عليهم في المحكمة. ويقول جيف براون: «إننا إن لم نتمكن من كسب القاعدة الشعبية، فسوف نخسر ثانية،... علينا أن نصل إلى القاعدة الشعبية. إنها المكان الذي ينشط فيه هؤلاء الناس -أي القوميين المسيحيين- في تجنيد أتباعهم».

♦

يصعب على المرء أن يعثر -في الوقت الراهن- على موقع إلكتروني يقدم النصيحة للأشخاص الذين يواجهون تحديات القوميين المسيحيين في مدارسهم. إن الافتقار إلى مثل هذه البنية التحتية المساندة في خوض الصراعات السياسية المحلية يعود -في جزء منه- إلى اعتماد الليبراليين على المحاكم لحماية حقوق الأقليات. ومنذ قضية براون ضد مجلس التعليم عام 1954، يمّم اليسار وجهه نحو المحكمة العليا لحماية الحريات

المدنية في وجه الأغلبية المعادية. وفي كل مرة يقرر مجلس مدرسة ما تدريس الخلق في المناهج الدراسية، كان رد الليبراليين التلقائي هو رفع دعوى قضائية في المحكمة.

في حين لجأ اليمين إلى القاعدة الشعبية والسياسات المحلية، بدلاً من طرق باب المحكمة الفدرالية العليا؛ نظراً إلى عدم وجود حلفاء له فيها، جانياً بذلك ثمار الصراع ضد قرارات الأغلبية في المحكمة. ونشأ عن ذلك حلقة مفرغة؛ ففي كل مرة تتدخل فيها المحكمة لحماية مجموعة لا تتمتع بشعبية واسعة، يجني اليمين مزيداً من الدعم الشعبي.

وليس من الإنصاف إدانة أي شخص يسعى إلى المحكمة الفدرالية العليا؛ طلباً لإحقاق حقه، سواء أكان من الأفارقة الأمريكيين، أم من غيرهم. فهؤلاء جميعاً هم على حق حين يختارون عدم جعل حقوقهم المدنية محلاً للاستفتاءات الشعبية. وبصرف النظر عن وجاهة الاعتماد على المحاكم من عدمه، فإن هذا الخيار لم يعد قائماً. فمعظم المحاكم اليوم بات يحتلها قضاة يعارضون كثيراً من الحقوق التي يثمنها الليبراليون. بدءاً من الحق بخصوصية ممارسة الجنس الرضائي، إلى الحق بتعليم عام خالٍ من تلقين العقيدة الدينية. وهذه خسارة فادحة، ولكن باستطاعة التقدميين أن يعيدوا الكرة عن طريق التركيز على السياسات المحلية.

ولقد أمكن الإطاحة بتدريس (التصميم الذكي) في النهاية عن طريق السياسات المحلية في مدينة دوفر. وفي الثامن من نوفمبر من عام 2005، وبعد فراغ أطراف النزاع من إبراز حججهم، وقبل أن يصدر القاضي حكمه في القضية، تمكن الناخبون في مدينة دوفر وبفارق قليل في الأصوات، من الإطاحة بأعضاء مجلس المدرسة الثمانية الذين انتهت مدة عضويتهم، ووضع مكانهم أعضاء جدد يؤيدون النشوء والارتقاء. وكان من بين الناجحين براين ريهم، الذي كان هو وزوجته كريستي ضمن الفريق المدعي في القضية. (كان براين فيما يبدو من الناجحين حتى كتابة هذه السطور؛ نظراً لقيام منافسه بالطعن في نتائج الانتخابات، مدعياً وجود خلل فني في آلات التصويت). وكان هذا النصر الانتخابي زجراً حاسماً لليمين بقدر ما يسع المرء أن يتخيل.

لم يـأتِ فوز المجلس الجديد في الوقت المناسـب لإعاقة القضـية التـي تنظر فيها المحكمة. كما أنه لا يعني أن سكان دوفر قد تخلصوا من شكوكهم تجاه داروين. ويميل معظم المراقبين إلى عزو نتائج تلك الانتخابات إلى مشاعر الخجل التي عمت المدينة، حين أصبحت محلاً للسخرية والتهكم على المستوى العالمي بسبب تلك القضية المثيرة للجدل؛ بل والأهم من ذلك هو الشـعور المتراكم بالغضب من مصاريف القضية. وقد ذكر لي براون أن (بعض الناس يحملون صوتهم الانتخابي في جيب قميصهم القريب من قلبهم، ولكن معظمهم يحملونه في جيوب سراويلهم إلى جانب محفظة نقودهم). ومـع ذلك، فإن نتائج الانتخابـات قد غيّرت من دينامكية السياسـة المحلية على نحو كامل، مما جعل التصـميم الذكي عديم النفع -مؤقتاً- بوصـفها هراوة شعبية. وبعد أربعـة أيام مـن تلك الانتخابات، تحول ريك سـانتوروم عن موقفـه القديم تجاه هذه القضية، مصرحاً لصحيفة محلية بأن التصميم الذكي لا مكان له في صفوف الدراسة قائلاً: «إن العلم يأخذك إلى حيث يأخذك»[174].

في شـهر ديسـمبر من عام 2005، أصـدر جون جونز قاضـي المحكمة البدائية الفدرالية ـ وهو من القضـاة الذين اختارهم بوش لهذا المنصـب ـ حكماً نقض فيه سياسة التصـميم الذكي التي اعتمدها مجلس المدرسـة السابق. وجاء في حيثيات الحكم الذي استغرق 193 صفحة ما نصه: «من المؤكد أن نظرية داروين في النشوء والارتقاء ما تزال ناقصـة، غير أن عجز نظرية علمية ما عن تقديم تفسير للنقاط كافة فيها، يجب ألا يستخدم ذريعة في دفع فرضيات دينية بديلة غير مجربة وزجها في غرف تدريس العلوم، أو في تحوير وتشـويه المسـائل والقضـايا العلمية الثابتة». ويتابع القاضـي جونز في حكمه قائلاً: «إن الإجحاف قد طال مواطني مدينة دوفر على يد أعضـاء المجلس السابق، الذين صوتوا لمصـلحة قرار يقضي باتباع سياسة التصـميم الذكي في المناهج الدراسـية. وإن من عجيب المفارقة أن كثيراً من هؤلاء الأعضـاء الذين كانوا يروجـون لمعتقداتهم الدينية في الملأ بـكل ثبات وكبرياء، لم يتوانوا عن الكذب مراراً وتكراراً في سـبيل تغطيـة آثارهم وتورية الهدف الحقيقي وراء سياسة التصميم الذكي».

وكان مثل هذا القرار، في الظروف العادية، يلاقى بإدانة مدوية بعدِّه هجوماً نخبوياً على إرادة الشعب. ولأن إرادة الشعب تبدو الآن في صف القاضي، فقد كان رد اليمين المسيحي صامتاً. ولم يستأنف مجلس التعليم الجديد في المدينة الحكم الذي أصدره جونز، ولذلك لم يكن هناك داعٍ للتحرك نحو المرحلة الثانية من المعركة القانونية. وفي محاولة لإبعاد نفسه عن تلك القاضية، أعلن سانتوروم -الذي بدت عليه آثار الهزيمة- استقالته من المجلس الاستشاري لمكتب توماس موري للمحاماة. وأعلن إعلاميون محنكون نعي التصميم الذكي.

كان ذلك النعي متسرعاً وسابقاً لأوانه. فبعد أيام قلائل من تبديل دوفر أعضاء مجلس التعليم فيها، أقرت ولاية كانزاس معايير جديدة في تدريس العلوم تنتقد النشوء والارتقاء. ثم بعد أقل من أسبوعين من صدور حكم جونز الذي جاء فيه، أن التصميم الذكي ليس له مكان في صفوف الدراسة، قدمت دائرة التعليم في مقاطعة إل تيجون في ولاية كاليفورنيا التصميم الذكي على أنه مادة اختيارية في مادة الفلسفة. وجاء في وصف ذلك المساق ما نصه: «يعاين هذا المساق بنظرة قريبة فاحصة نظرية النشوء والارتقاء، ثم يناقش الجوانب العلمية، والبيولوجية، والإنجيلية التي تبين أن فلسفة داروين لا تقف على قاعدة صلبة»، وفي وصفه (فلسفة التصميم) سيناقش المساق التصميم الذكي بعدِّه رداً بديلاً عن النشوء والارتقاء ... وسوف تقدم الأدلة المادية والكيميائية التي توضح أن عمر الأرض هو بالآلاف وليس بالبلايين من السنين».

سارعت منظمة اتحاد الأمريكيين من أجل الفصل بين الكنيسة والدولة بالانضمام إلى بعض أولياء أمور الطلبة في المقاطعة في الدعوى، التي أقاموها ضد هذا التوجه، فتراجعت دائرة التعليم مبدية موافقتها على عدم طرح هذا المساق مرة أخرى. وفي أثناء ذلك، اكتسبت المبادرات المناهضة للنشوء والارتقاء زخماً قوياً في ولايات أوكلاهوما، ويوتاه، وميزوري، ويمكننا توقع المزيد؛ نظراً لصلابة وعناد الحركة المناهضة للداروينية. ولو قدر لهذه المبادرات النجاح، فسوف تفتح المجال لمزيد من المواجهات القضائية، مما يعني أن المعركة التي حدثت في دوفر سوف تتكرر في كثير من مدن البلاد. ولا يتوقع أن يكون كل القضاة الذين ينظرون في تلك القضايا على

درجة من الوعي والاستنارة التي أظهرها القاضي جونز. لذلك، فإن من المحتمل أن تصدر أحكام من بعض المحاكم تؤيد وتحمي تدريس التصميم الذكي في المدارس الحكومية. ومع استمرار الصراع، يتحتم على المدافعين عن العلم والعقل أن يتعلموا من التجربة التي حدثت في بنسيلفينيا، وأن يحاولوا القضاء على أنصار التصميم الذكي في الانتخابات المحلية، وكذلك في قاعة المحكمة؛ لإخماد جانب الجاذبية الغوغائية في هذه القضية.

إن محاربة القومية المسيحية عن طريق الحملات المحلية يتطلب أكثر من مجرد اتباع أسلوب دفاعي. وثمة طرق عديدة يمكن للناشطين الليبراليين أن يدفعوا بواسطتها إلى الأمام القضايا التي تهمهم، على نحو مجزأ في السياسات الانتخابية في الولايات، التي تبدي تعاطفاً تجاه هذه القضايا. والنجاح الذي يتحقق بهذه الطريقة هو نجاح جزئي ولكنه أكثر استقراراً وصلابة؛ لأن هذا النجاح لا يتعرض لهجوم غوغائي على القضاة غير المنتخبين. وفي إبريل من عام 2005، أصبحت ولاية كناكيتكت ثالث ولاية في الاتحاد الأمريكي تقدم معظم فوائد ومزايا الزواج التقليدي للأزواج المثليين عن طريق الاعتراف القانوني بعلاقات الشراكة المحلية. وعلى خلاف ما حدث في ماسيتشيوستس وفيرمونت، لم تشهد كناكيتكت ضجة إعلامية على المستوى الوطني؛ لأن التغيير صدر عن المشرع وحمل توقيع حاكم الولاية الذي ينتمي للحزب الجمهوري. ولا يوجد سبب يمنع الناس في الولايات الليبرالية من المواجهة؛ بغية وضع قوانين مشابهة. إن مما يثير البهجة أن نرى مزيداً من المعارك التي تشن في سبيل العدالة الاجتماعية، وقد تحقق فيها النصر بمساعدة الشعب، وليس بالرغم عنه.

ولن يتسنى للديمقراطيين أن يحققوا شيئاً إيجابياً يذكر على المستوى الوطني، ما دام الجمهوريون يسيطرون على الكونغرس والبيت الأبيض؛ وفي أحسن الأحوال، سيكون باستطاعتهم تلطيف بعض فظائع اليمين المتشدد. وهذا مهم، ولكنه موهن للعزيمة. ولكن يمكن لليبراليين أن يحققوا بضع انتصارات صغيرة، وضرورية لدرء الخيبة واليأس عن طريق خوض مساجلات محلية مؤكدة النصر. ويمكنهم بناء

الشـبكات، وتعلـم كيفية حسـن الأداء في السياسـات الانتخابية، والعمـل على تحويل مدنهم وولاياتهم إلى مجتمعات تعكس قيمهم، حتى وإن كانت بقية البلاد لا تشاطرهم هذه القيم.

♦

أمـا على صـعيد المبـادرات المحليـة، فسـيحتاج معارضـو القومية المسـيحية إلى إسـتراتيجية إعلامية جديدة. ويدرك كثير من الناس هذا المطلب. وقد وضعت وكالة فينتون للإعلام، وهي الوكالة التي تتولى العلاقات العامة للحملة التي أطلقتها منظمة موف أون بعنوان: (حملة الدفاع عن الدستور)، وتقوم هذه المبادرة على توظيف جهود شعبية محلية على غرار عمل منظمة موف أون نفسها؛ بغية رفع مستوى الوعي الشعبي باليمين المسـيحي. ونظراً لأنها تتمتع بوجود 3,5 مليون عضـو على اسـتعداد للتحرك والتبرع بالمال، وكتابة الرسـائل، والضغط على الساسة في سـبيل القضايا التقدمية، فـإن منظمة موف أون هي أقرب المنظمات الليبرالية شـبهاً بالائتلاف المسـيحي، إلا أنها تركز نشـاطها على قضايا العدالة الاقتصادية، والسياسة الخارجية والبيئة بدلاً عن القضـايا الاجتماعية الخلافية. وتهدف حملة الدفاع عن الدستور إلى بناء شبكة شـبيهة للتصدي للقومية المسـيحية في أي مكان تظهر فيه، بما في ذلك هجومها على نظرية النشـوء والارتقـاء، وعلى حقوق اللوطيـين، وعلى خيار الإنجـاب، وعلى مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة.

وينصب معظم العمل المطلوب من المخططين الإعلاميين على توعية الناس. وفي كل مـرة يظهر فيها ديفيد بارتون في وسـائل الإعلام فيما يخص الحزب الجمهوري، فإن على الليبراليين لفت الأنظار إلى ارتباطه بمنظمات العنصريين البيض. ويلزم تثقيف الشـعب الأمريكي بفحوى مذهـب التجديد المسـيحي؛ لكي يقرروا إن كانوا سـيقبلون أن يكـون ممثلوهم على علاقة مع أشـخاص يسـعون إلى إقامة حكـم ديني في البلاد. إنهم بحاجة إلى إدراك أن الحزب الجمهوري أصـبح الحصـن المنيع لرجال يعارضون التعليـم الحكومي؛ لأنهم يعتقـدون أن مهمة المرأة هي القيام بتدريس الأولاد في المنزل بنفسـها. (ولقد وصف ريك سـانتوروم في كتاب له بعنوان: (يحتاج الأمر إلى أسرة)،

وصف المدارس الحكومية بأنها أمر (شاذ) وتوقع أن يزدهر التدريس في المنزل على أنه (أحد الخيارات الحيوية من بين خيارات عدة ستكون متاحة لنا، بعد أن نقضي على السيطرة المتعسفة للدولة على قطاع التعليم؛ لكي تزهر براعم الورود التي يرعاها الآباء)[175].

وحين يتعلق الأمر بصراع العلاقات العامة ضد القومية المسيحية، فإنه لا شيء أكثر خداعاً من المعارك المتعلقة بالرموز الدينية التي تعرض في الأماكن العامة. فالخلاف حول وضع شعارات عيد الميلاد في الحدائق العامة، أو تلك المتعلقة بترانيم عيد الميلاد التي تؤديها الفرق الفنية في المدارس، هي في حقيقتها خلافات حول أي جانب من جوانب المادة الأولى من تعديل الدستور سوف يسود - هل هو الجانب الخاص بحماية حرية التعبير، أم جانب حظر مأسسة الدين في الدولة - وبشكل عام، فإنني أعتقد أن من الأفضل أن نخطئ في جانب حرية التعبير. وكما هي حال معظم النزاعات المتعلقة بالمادة الأولى من تعديل الدستور، فإن الحل لمسألة التعبير عن الرأي - (وفي هذه الحالة إبراز الرموز الدينية بوصفه شكلاً من أشكال حرية التعبير) التي تجعل كثيراً من الأقليات الدينية تشعر بالاستثناء أو الإقصاء والاستبعاد - هو تشجيع المزيد من التعبير عن الرموز الدينية اليهودية، والبوذية، والهندوسية؛ احتفالاً بالتعددية الروحية الأمريكية.

غير أن الأمر يزداد تعقيداً حين يتعلق الأمر بعرض الرموز الدينية بطريقة تشابه ما قام به موور، حين وضع نصباً ضخماً من الرخام نقشت عليه الوصايا العشر داخل مبنى المحكمة، وهو خلط بين القانون المدني والإنجيل. والهدف من هذا العرض هو التعبير عن سيادة الدين، والسماح لهذا النوع من التعبير يقوي ادعاءات القوميين المسيحيين بالحكم اللاهوتي. ويكمن الفرق بين الحالين في التمييز الدقيق بين الصور التي تقول: إن أكثرية الأمريكين يدينون بالديانة المسيحية، وبين الصور التي تعلن أن أمريكة أمة مسيحية. ولا يوجد في هذه القضية خطوط مرتبة، وليست هناك طريقة لإفراغ السموم من هذه القضايا دون الاستسلام التام للطرف الآخر. إلا أن هناك خطوة واضحة يجب على أنصار الحريات المدنية أن يخطوها، وهي أن يتخذوا موقفاً أقوى في الدفاع عن حقوق الإنجيليين في التعبير عن الرأي، حين يتم التعدي على

هـذه الحقـوق بغير وجـه. وعلى الرغم من أن نسـبة حدوث ذلك هـي أقل بكثير مما يدعيه القوميون المسيحيون، فقد حدث في بعض المناسبات قليلة العدد أن تعسف بعض المسؤولين في بعض القضايا، التي تهدف إلى حماية مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة، إلى درجة إسكات الصوت الديني المحمي بنص المادة الأولى من تعديل الدستور. (وفي حادثـة وقعت عـام 2005 ولقيت تغطية إعلامية مكثفة في أوسـاط اليمين المسـيحي، رفض مدير مدرسـة في ولاية تينسـي السماح لطالب يبلغ من العمر عشر سنوات عقد حلقة لدراسة الإنجيل في أثناء مدة الاستراحة)[176]. ويجب مقاومة مثل هذا الخرق لحرية التعبير لسـببين، الأول مبدئي؛ لأن المسـيحيين يتمتعون بحقوق التعبير نفسـها عـن الرأي التـي يتمتع بها الآخرون، والثاني سياسـي؛ لأن مثل هذا التعدي يتولد عنه ردود فعل مضادة تضر في النهاية بمبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة.

ويطبـق الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية هذه السياسـة، وإن كنا لا نسـمع كثيراً عنها؛ لأن العلمانيين يفتقرون إلى مثل الأجهزة الدعائية التي يملكها اليمين المسيحي. خذ على سـبيل المثال، الأسـطورة المدينيـة التي روج لها جيري فالويل وهي: (قضـية حلوى الطلاب البغيضـة). وقد وصـف فالويل هذا العدوان العلماني في مقالة نشرها عـام 2003 بقولـه: «عوقـب سـبعة من الطلبة في مدرسـة ويسـتفيلد الثانويـة بولاية ماسيتشيوسـتس بالفصـل المؤقت، لسـبب وحيد هو قيامهم بتوزيـع قطع من الحلوى المسـبوكة على شـكل عكازة بابا نويل، وتحتوي على رسـائل دينية... والحقيقة هي أن هـؤلاء الطلبة يملكـون الحق في التعبير عـن رأيهم قولاً وكتابة خـارج أوقات الدرس. نعـم، لهؤلاء الطـلاب كامل الحق في التحدث في القضـايا الدينيـة تماماً كحقهم في التحدث في القضايا العلمانية - وبغض النظر عما يروج له الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية»[177].

والحقيقة هي أن الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية خاطب المحكمة بعريضة دافع فيها عن الطلبة استند فيها إلى أن الطلاب، كما كتب محامي الاتحاد (يملكون الحق في التعبـير عن آرائهم، الدينية وغيرها، ونشـرها بين زملائهم الآخرين في المدرسـة في أوقات فراغهم، قبل الحصـص الدراسية وبعدها، وفي القفطير، أو في غيره). ومع

ذلك، انتشرت الأخبار في الأوساط الإعلامية اليمينية عن الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، وعن خططه الشيطانية للنيل من الحلوى المسيحية.

ويحتاج الليبراليون إلى إقامة قنواتهم الإعلامية لدحض مثل هذا التشويه للحقائق، مع التركيز في الوقت نفسه على دعم حرية كل شخص في التعبير عن رأيه. ولن يؤدي ذلك إلى استمالة قلوب القوميين المسيحيين الملتزمين، إلا أنه قد يحصن بعض المتعاطفين معهم من الدعاية القائلة: إن التقدميين يسعون إلى القضاء على الدين والعقيدة، وهو ما سيعوّق جهود اليمين المسيحي في وضع كل خلاف سياسي في إطار الحرب على المسيح. وسيتمثل التحدي، (أخيراً) في إعادة الاعتبار للحقيقة. وإذا نجح التقدميون في تحقيق ذلك، فلربما أمكن إنقاذ أمريكة.

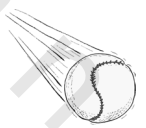

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

التضامن

من الوسائل التي يمكننا بواسطتها فهم الحقد الذي يمزق العالم اليوم، هي أن ننظر إلى هذا الصراع بعدّه حرباً بين الشرق والغرب، بين النصرانية ودار الإسلام. غير أن هذه النظرة تغفل الحرب الأهلية التي تحدث داخل هذين المعسكرين، وتغفل كذلك التحالفات الروحية والجغرافية التي تتقاطع بين هذين المعسكرين. وفي الوقت الذي يبدو فيه التطرف الديني متصاعداً في كل مكان، فإنني ألاحظ صراعاً من نوع آخر. هذا الصراع هو بين الحداثة، والإنسانوية، والعقل، والتقدم من جانب، في مقابل الأصولية، والقبلية، والتشدد الديني، والتجهيل في الجانب الآخر. أي أن الليبراليين في العالم يخوضون حرباً ضد الاستبداد الديني بكل صوره وأطيافه.

وفي صيف عام 2005، أجريت مقابلة صحافية مع الكاتبة الإيرانية ماجرين ساترابي، وهي روائية تصويرية، لها روايتان عنوانهما بريسبوليس، وبريسبوليس 2، سردت فيهما مذكرات سنوات صباها التي شهدت فيها إيران أحداث الثورة الإيرانية وإقامة الحكم الديني في البلاد. ونظراً لكونها من أسرة متمدنة وناشطة سياسياً، فقد استطاعت ساترابي أن تصف وصفاً دقيقاً مشاعر الذهول المروّع من استيلاء رجال الدين المفتتنين بالجنس والموت، على الحكم في إيران. لقد كنت أخال أن يظهر للأمريكين شبح مماثل من الذعر بعد استحكام الأمر لليمين المسيحي، وترددت في عقد مقارنة بين ملالي إيران المستبدين، وبين القوميين المسيحيين في أمريكة؛ لأنني لم أشأ أن أقلل من شأن وحجم المعاناة الأكبر والأشد في إيران. غير أن ساترابي ليس لديها تحفظ مشابه، إذ قالت لي عبر الهاتف من باريس: «إنهم جميعاً سواء!» قبل أن تشرع توجّه نداءً إلى التضامن والتعاضد في صفوف أعداء الأصولية جميعاً.

وقالت: «نحن العلمانيين، ليس لدينا وطن. نحن، معاشر الشعوب العلمانية التي تصبو إلى الحرية، علينا أن نتحد جميعاً. علينا أن نعمل على المستوى الدولي؛ لأن المتعصبين من جميع الأديان يعملون على المستوى الدولي».

وهم كذلك حقاً. فالتحالف بين المسيحيين الصهاينة، وبين غلاة المتطرفين من المستوطنين الإسرائيليين معروف ومشهور. أما الجانب الآخر الأقل شهرة فهو الطريقة التي أوجد بها الإنجيليون الأمريكيون قاعدة مشتركة مع الإسلاميين في الأمم المتحدة لمعارضة اتفاق دولي بشأن حماية حقوق المرأة والطفل. وفي ظل حكم جورج بوش، أصبحت الوفود الأمريكية إلى مؤتمرات الأمم المتحدة تبدو، وكأنها اختيرت من بين المشاركين في مؤتمر استعادة أمريكة للمسيح. فالوفد الذي اختير لتمثيل البلاد في مؤتمر قمة الأمم المتحدة عن الطفل ضم كلاً من جانيس كروز من منظمة النساء المهتمات بأمريكة، وبول بونيسيلي، وهو مستشار سابق للفاتيكان. وعمل الاثنان بالتنسيق مع مندوبين ووفود من دول إسلامية استبدادية؛ بغية شطب أي إشارة إلى (خدمات الصحة الإنجابية) في الإعلان، الذي صدر عن اجتماع القمة. وفي هذا الخصوص نشرت صحيفة واشنطن بوست تقريراً في صفحتها الرئيسة بعنوان: (التكتل الإسلامي واليمين المسيحي يتعاونان للضغط على الأمم المتحدة). وذكرت الصحيفة أن المسؤولين الأمريكيين والمسؤولين الإيرانيين، كانوا يتشاورون في أوقات الاستراحة لتنسيق الجهود والاتفاق على الإستراتيجية. (وفي عام 2005 عيّن بونيسلي لرئاسة الوكالة الأمريكية الدولية لتنمية الديمقراطية والبرامج الحكومية).

وبحسب ما جاء في تقرير واشنطن بوست، فإن الشراكة مع الدول الإسلامية المحافظة (أوجدت فرصة سانحة للحكومة الأمريكية لإثبات أنها تشترك مع الإسلام في كثير من القيم الاجتماعية). ونقلت عن مسؤول حكومي قوله: «لقد حاولنا الإشارة إلى أن ثمة أرضية مشتركة بيننا وبين كثير من الدول الإسلامية في هذه القضايا الاجتماعية»[178].

إن أكثر شيء يبغضه الأصوليون الإسلاميون في الغرب - الانفتاح الجنسي، والفنون، والفرص التي يوفرها المجتمع الغربي لأفراده للانعتاق من قيود الأسرة والدين، وقدرة الفرد على إعادة تشكيل حياته كما يشاء - هذه الصفات هي الصفات عينها التي يبغضها القوميون المسيحيون. ومن ثمّ -وبمفارقة غريبة وعجيبة- نكون قد عدنا من حيث بدأنا؛ لنرى المدافعين عن القومية الأمريكية يتحدثون بلغة المتطرفين المعادين لأمريكة. وقد أفصحت جانيس كروز عن هذه الرابطة بكل وضوح في اجتماع آخر للأمم المتحدة عقد في مارس من عام 2005.

وجاء ذلك الاجتماع لمتابعة القرارات والتوصيات التي انبثقت عن المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين. ووفر هذا الاجتماع فرصة أخرى لحكومة بوش لملء الوفد الأمريكي بأشخاص مثل جانيت بارشال، التي تعمل في البث الإذاعي المسيحي (وبالمناسبة، جانيت بارشال هي التي قدمت الفيلم الوثائقي الإطرائي الذي أنتجه ديفيد بالسيغر بعنوان جورج دبليو بوش: الإيمان والعقيدة في البيت الأبيض). لم تكن كروز ضمن الوفد الرسمي هذه المرة، إلا أنها وفي نهاية المؤتمر، تحدثت في مبنى الأمم المتحدة الخاص بمنظمات المجتمع المدني، عن (الكارثة المطبقة) التي حلت بالمرأة بسبب (مساواة المرأة) و(التحرر الجنسي). وعبر شرائح العرض الغريبة التي استخدمتها، عقدت كروز مقارنة بين «حركة مساواة المرأة» وبين (الشيوعية) وذلك بوضع صور وأقوال لماو زيدوغ (السلطة كلها تأتي من البندقية) وجوزيف ستالين (موت شخص واحد مصيبة، أما موت مليون فهو مجرد رقم) وآخر من بتي فريدان (أيتها النساء، إن كل ما ستخسرنه هو مكنستكن الكهربائية). ثم جاءت الذروة - شريحة تعرض صور أكوام الجثث المتراكمة في معسكر اعتقال نازي، وتبعتها صورة جنين يمد يده عبر شرط في رحم امرأة.

كان الحضور خليطاً من الإنجيليين الأمريكيين، والكاثوليك من أمريكة اللاتينية، والمسلمين من الشرق الأوسط وآسية. وأوضحت كروز في حديثها إلى هذا الجمع -بكل وضوح- أن حظر الإجهاض يعني الانتقاص من حرية المرأة واستقلالها. وتساءلت: «ما

هو الهدف من وراء هذا الطاعون المسمى بالإجهاض، هذا القتل الجماعي للأبرياء؟. هل هو لتسهيل السعي نحو الشهوات والملذات؟ أهو لتحرير المرأة؟ تحريرها من ماذا؟ لكي تتمكن المرأة من الانغماس في الشهوات الجنسية دون تحمل تبعات الأمومة؟ لا، إن مجازر الإجهاض لا علاقة لها بالمتعة، بل هي متعلقة أشد العلاقة بتبعات الأمومة. إن المتطرفات في حركة مساواة المرأة يرين في الإجهاض السلاح الأقوى في معركتهن للانفلات من سيطرة الرجل. فالقضية هي قضية سلطة، أي امتلاك سلطة الأمر. وحين يكون الإجهاض خياراً متاحاً للمرأة، فإنها تستطيع التخلص من الحمل. فالإجهاض يعطيها القوة التي تمكنها من التخلص من ولادة طفل يعود للرجل، طفل ترتبط به طيلة حياته، ويربطها كذلك بأبيه».

لقد أدهشتني هذه الاستغاثة الأبوية السافرة؛ لأن القوميين المسيحيين حين يخاطبون الجمهور الأمريكي يستخدمون لغة خطاب تحاكي تمكين المرأة. والشيء الذي صدمني أكثر هو تعليقات كروز على الأسئلة التي طرحت في نهاية حديثها. إذ وقفت امرأة تركية ترتدي الحجاب، وأعلنت أن الثقافة الأمريكية والثقافة الشيوعية هما (شيء واحد). لأن كلتا الثقافتين هما من القوى الاستعمارية التي تحارب المثل التقليدية. وبكل غرابة، وافقتها كروز على تلك التصريحات.

وقالت كروز: «أعتقد أنك أصبت حين ذكرت أن حركة مساواة المرأة في العصر الحديث هي وجه خفي من وجوه الاستعمار... إنني أشعر بنفاد الصبر أحياناً من مواقف دعاة مساواة المرأة في أمريكة اليوم؛ لأنني أشاهد أن أكثر تركيزهن على تصدير الثقافة الغربية الفاسدة إلى دول العالم الثالث». لم يكن بوسع فرانتز فانون -ولا حتى أسامة بن لادن- أن يأتي بعبارة أبلغ مما قالت. ثم صفق الحضور.

هذا هو ما نقف تجاهه. فنحن في مواجهة قوميين مسيحيين يقدسون رؤية تواقة إلى أمريكة، ولكنهم يبغضون أمريكة بواقعها الحالي، تحررها، وفسادها، وافتقارها الذي يبعث على الجنون إلى القيم المطلقة.

كتب سلمان رشدي عقب هجمات 11 سبتمبر منتقداً بشدة بعض اليساريين، الذين ساقوا الأعذار للهجمات الإرهابية على أنها تَفَجُّرٌ مؤسف، ويمكن تفهمه لمشاعر غضب العالم الثالث على أمريكة، قائلاً: «إن ما يسعى إليه الأصوليون هو أكثر من تدمير بنايتين... إن هؤلاء الناس يعادون -على سبيل المثال لا الحصر- حرية التعبير، والنظام السياسي متعدد الأحزاب، وحق التصويت لكل البالغين، وإخضاع الحكومة للمساءلة، واليهود، وحقوق المرأة، والتعددية، وفصل الدين عن الدولة، والتنورة القصيرة، والرقص، وحلق اللحية، ونظرية النشوء والارتقاء، والجنس»[179]. وليس لدى القوميين المسيحيين أي مشكلة في حلق اللحى، وفيما عدا ذلك، فإن وصف سلمان رشدي للأصوليين المسلمين ينطبق على القوميين المسيحيين.

إن من الخبل أن نحارب الاستبداد الديني في الخارج في الوقت، الذي نسمح فيه له بالاستحكام في الداخل. إن هذه الحرب الوحشية والطاحنة التي تدور رحاها بين القيم العصرية وقيم العصور الوسطى قد نشرت الفوضى، والخوف، والبؤس، في مختلف أرجاء الأرض الفقيرة. وسيكون العالم في حال أسوأ من حاله الراهنة، لو كان الصراع بين مذاهب أصولية متنازعة. إن الجانب الأمريكي يجب أن يكون الطرف الذي يقف مع الحرية والتنوير.

- ميشيل غولدبيرغ

يناير 2006

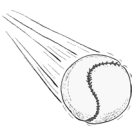

Obeikandl.com

obeikandl.com

الهوامش

المقدمة: الاستيلاء على الأرض

1 Michael Farris, The Joshua Generation (Nashville: Broadman & Holman, 2005), pp. 11 -12.

2 The National Center for Education Statistics in the U.S. Department of Education estimated there were 1.1 million students being home- schooled in 2003, a 29 percent increase from 1999. The National Home Education Research Institute claims that 1.7 million to 2.1 million children were homeschooled during the 2002 -2003 academic year.

3 David Kirkpatrick, «College for the Homeschooled Is Shaping Leaders for the Right» The New York Times, March 7, 2004.

4 John Green, for the Pew Forum on Religion and Public Life, American Religious Landscapes and Political Attitudes, September 9, 2004.

5 In 2005, the Associated Baptist Press reported on a growing nationwide divide between those Christians who want to «re-establish Christendom» and those who «refuse to wrap the cross in the flag» See Ken Camp, « <Nationalism> New Culture Split for Churches, Says Prof» July 26, 2005.

obeikandi.com

6 Kimberly H. Conger and John C. Green, «Spreading Out and Digging In; Christian Conservatives and State Republican Parties» Campaigns and Elections, February 2002.

7 Quoted in Daniel Levitas, The Terrorist Next Door (New York: Thomas Dunne Books/St. Martin's, 2002), p. 27.

8 Sara Diamond, Roads to Dominion: Right-Wing Movements and Political Power in the United States (New York: Guilford Press, 1995), p. 209.

9 David Kirkpatrick, «Club of the Most Powerful Gathers in Strictest Privacy? The New York Times, August 28, 2004.

10 Diamond, Roads to Dominion, pp. 221 -25; Sara Diamond, Spiritual Warfare: The Politics of the Christian Right (Boston: South End Press, 1989), pp. 16 -17; Scott Anderson and John Lee Anderson, Inside the League (New York: Dodd, Mead, 1986), pp. 179 -80.

11 Michael Lind, «Rev. Robertson>s Grand International Conspiracy Theory» New York Review of Books, February 2, 1995.

12 The Collected Works of Pat Robertson (New York: Inspirational Press, 1994), pp. 256 -57; Pat Robertson, The New World Order (Nashville: Word Publishing, 1995), p. 257; Lind, «Rev. Robertson's Grand International Conspiracy Theory?»

13 Garry Wills, Under God: Religion and American Politics (New York: Simon and Schuster, 1990), p. 174.

14 Frederick Clarkson, Eternal Hostility (Monroe, Me.: Common Courage Press, 1997), p. 110.

obeikandl.com

15 Ibid. p. 122.

16 Balsiger is another veteran of the Christian right,s Cold War campaigns. During the 1980s, he organized the RAMBO Coalition, which supported right-wing guerillas in southern Africa. See Diamond, Roads to Dominion, p. 223.

17 «Intolerance Complaints Bubble over at Air Force Academy? Associated Press, May 12, 2005.

18 Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (1951; reprint, New York: Harcourt, 1994), p. 353.

الفصل الأول: هذه أمة مسيحية

19 Ex parte H.FL, 830 So.2d 21 (2002).

20 Matt Labash, «God and Man in Alabama? The Weekly Standard, March 2, 1998.

21 Dahleen Glanton, «Crusading for a Christian Nation; Groups Across the Country Are Defying the Courts and Invoking Patriotism as They Fight for Displays of the Ten Commandments and School Prayer,» Chicago Tribune, December 10, 2001; Americans United for Separation of Church and State, «Take Back Our Land, Alabama's Judge Moore Urges Christian Rally» January 2002.

22 The Glenmary Research Center,s study «Religious Congregations and Membership: 2000» found that during the 1990s, the fastest-growing denominations were the Mormons (19.3 percent), the

obeikandl.com

conservative, evangelical Christian Churches and Churches of Christ (18.6 percent), and the Pentecostal Assemblies of God (18.5 percent). The steepest declines were registered by the liberal Presbyterian Church (U.S.A.) (11.6 percent) and the United Church of Christ (14.8 percent). See Laurie Goodstein, «Conservative Churches Grew Fastest in 1990s, Report Says» The New York Times, September 18, 2002.

23 Rick Scarborough, In Defense of . . . Mixing Church and State (Houston: Vision America, 1999), p. 9.

24 Thomas Frank, What's the Matter with Kansas? (New York: Metropolitan Books/Henry Holt, 2004), p. 6.

25 Isaac Kramnick and R. Laurence Moore, The Godless Constitution (New York: W. W. Norton, 1996), p. 143.

26 James G. Lakely, «President Outlines Role of His Faith» Washington Times, January 12, 2005.

27 David Frum, The Right Man (New York Random House, 2003), pp. 3 -4.

28 Fritz Stern, The Politics of Cultural Despair: A Study in the Rise of the Germanic Ideology (Berkeley: University of California Press, 1989), p. xx.

29 Roger Griffin, The Nature of Fascism (New York: Routledge, 2003), p. 38.

obeikandl.com

30 Quoted in a 1994 Anti-Defamation League report, «The Religious Right: The Assault on Tolerance and Pluralism in America: p. 121.

31 William Edgar, «The Passing of R.J. Rushdoony» First Things, August/September 200113.

32 Francis Schaeffer, A Christian Manifesto (Westchester, Ill.: Crossway Books, 1981), p. 18.

33 Ibid. p. 121.

34 Ibid. p. 131

35 Tim LaHaye, Battle for the Mind (Old Tappan, N.J.: Fleming H. Revell, 1980), p. 9.

36 Alan Cooperman, «DeLay Criticized for <Only Christianity> Remarks,» The Washington Post, April 20,2002.

37 George Grant, The Changing of the Guard (Ft. Worth: Dominion Press, 1987), pp. 50 -51.

38 D. James Kennedy, Character and Destiny: A Nation in Search of Its Soul (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1995), p. 59.

39 Ibid., pp. 56 -57.

40 Anti-Defamation League, «The Religious Right,» pp. 55 -56.

41 Rob Boston, «Naked Power Grab,» Church & State Magazine, November 2004.

obeikandl.com

الفصل الثاني: بروتوكولات حكماء سان فرانسيسكو:
التسخير السياسي للخوف من ذوي الميول الجنسية المثلية

42 «Alabama Bill Targets Gay Authors» CBS Evening News, April 27,2005.

43 «Tenn. County Officials Seek to Ban Gays» Associated Press, March 17, 2004.

44 Alan Sears and Craig Osten, The Homosexual Agenda (Nashville: Broadman & Holman, 2003) p. 10.

45 Richard J. Evans, The Coming of the Third Reich (New York: Penguin, 2005), p. 376.

46 Sears and Osten, The Homosexual Agenda, p. 14.

47 Scott Lively and Kevin Abrams, The Pink Swastika (Sacramento: Veritas Aeterna Press, 2002), p. 13.

48 Marvin Olasky, «We the People» World Magazine, November 13,2004.

49 Luisa Kroll, «Megachurches, Megabusiness» Forbes, September 17,2003; William C. Symonds, «Earthly Empires: How Evangelical Churches Are Borrowing from the Business Playbook» Business Week, May 23,2005.

50 Symonds, «Earthly Empires!»

51 Susan Page, «Shaping Politics from the Pulpits» USA Today, August 2 2005.

obeikandl.com

52 Walter Shapiro, «Ohio Churches Hope Marriage Ban Prods Voters to Polls,» USA Today, September 26, 2004.

53 «Heartbroken» The Economist, August 15, 2002.

54 Pam Belluck, «To Avoid Divorce, Move to Massachusetts» The New York Times, November 14, 2004.

55 Richard Hofstadter, The Paranoid Style in American Politics and the, Essays (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1996), p. 31

56 Tim LaHaye and Jerry Jenkins, The Remnant (Wheaton, Ill.: Tyndale House, 2002), p. 318.

57 Max Blumenthal, «Justice Sunday Preachers: The Nation online, April 26, 2005.

58 Bronwyn Turner, «Undoing Racism Task Force Calls for Reconciliation During Evening to Honor Black Leaders» Lufkin [Tex.] Daily News, April 17, 2004

59 Walter Shapiro, «Presidential Election May Have Hinged on One Issue: Issue 1» USA Today, November 4, 2004

60 LaHaye and Jenkins, The Remnant, p. 323.

61 Hanns Oberlindober, Eth Vaterland, das alien gehort! Briefe an Zeitgenossen aus zwolf Kampfiahren (Munich: Zentralverlag der NSDAP, 1940), pp. 152 -67; translation by Randall Bytwerk, posted at the German Propaganda Archive at Calvin College, http://www.calvin.edu/aca demic/cas/gpa/oberlindoberl .htm

obeikandl.com

الفصل الثالث: رب المختبر

التصميم الذكي والحرب على التنوير

62 Kitzmiller et al. v. Dover Area School District, complaint, p. 13; Joseph Maldonado, «Dover Schools Still Debating Biology Text» York [Pa.] Daily Record, June 9, 2004.

63 Neela Banerjee, «Christian Conservatives Turn to Statehouses,» The New York Times, December 13, 2004.

64 Jonathan Wells, «Darwinism: Why I Went for a Second Ph.D» posted at http://www.tparents.org/library/unification/talks/wells/DARWIN.htm. See also Peter Slevin, «In Kansas, a Sharp Debate on Evolution,» The Washington Post, May 6,2005.

65 Phillip Johnson, The Wedge of Truth (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2000), pp. 157 -58. Phillip Johnson, The Wedge of Truth (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2000), pp. 157 -58.

66 Ibid., p. 158.

67 Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (1951; reprint, New York: Harcourt, 1994), p. 350.

68 Rick Santorum,«Illiberal Education in Ohio Schools» Washington Times, March 14,2002

69 Percival Davis and Dean H. Kenyon, Of Pandas and People (Richardson, Tex.: Foundation for Thought and Ethics, 1989), p. 14.

obeikandl.com

70 Kitzmiller v. Dover transcript, October 27,2005.

71 Joseph Maldonado, « 'Intelligent Design' Voted In» York Daily Record, October 19,2004.

72 Ronald Numbers, The Creationists (Berkeley: University of California Press, 1992), p. 44.

73 Edward J. Larson, Summer for the Gods: The Scopes Trial and America's Continuing Debate over Science and Religion (New York: Basic Books, 1997), pp. 231 -33.

74 Anna Badkhen, «Anti-evolution Teachings Gain Foothold in U.S. Schools,» San Francisco Chronicle, November 30,2004.

الفصل الرابع: الأرباح السهلة والوفيرة للمؤسسات الدينية

75 See transcript of Bush,s speech, «President Highlights Faith-Based Initiative at Leadership Conference,» on the White House Web site, http:// www.whitehouse.govinewskeleases/2005/03/4-20050301.html.

76 Amy Sullivan, «Faith Without Works,» Washington Monthly, October 2004.

77 Alan Cooperman, «An Infusion of Religious Funds in Fla. Prisons» The Washington Post, April 25,2004.

78 Marvin Olasky, Renewing American Compassion (New York: Free Press, 1996), p. 26.

79 Marvin Olasky, The Tragedy of American Compassion (Washington, D.C.: Regnery Gateway, 1992) p. 230

obeikandi.com

80 Marvin Olasky, «God and Sinner Reconciled» World Magazine, December 14, 1996

81 David Grann, «Where W. Got Compassion» The New York Times Magazine, September 12, 1999

82 Olasky, Tragedy of American Compassion, p. 220.

83 Grann, «Where W. Got Compassion?»

84 David C. Hammack, review of The Tragedy of American Compassion, by Marvin Olasky, Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, Spring 1996; abridged version published online by H-State, February 1996.

85 Molly Ivins and Lou Dubose, Bushwhacked (New York: Random House, 2003), pp. 215 -18.

86 Subcommittee of International Organizations of the House Committee on International Relations, Investigation of Korean American Relations, 95th Cong., 2d sess., October 31, 1978. Full speech available online at http : //www.tp arents.org/Moon -Talks/sunmyungmo o n73/ SM730517. htm.

87 Marc Fisher and Jeff Leen, «A Church in Flux Is Flush with Cash? The Washington Post, November 23, 1997.

88 Ibid.

89 Hamil R. Harris, «Moon Tries to Connect with Black Pastors». The Washington Post, April 21, 2001.

obeikandi.com

90 John Gorenfeld, «Bad Moon on the Rise» Salon.com, September 24, 2003.

91 Don Lattin, «Moonies Knee-Deep in Faith-Based Funds» San Francisco Chronicle, October 3, 2004.

92 Laura Meckler, «U.S. Gave $1 Billion in Faith-Based Funds» Associated Press, January 3, 2005.

93 Ron Suskind, «Why Are These Men Laughing?» Esquire, January 2003.

94 Ibid.

95 Ernest Herndon, «A Light in Louisiana,» Charisma, October 23, 2003.

96 Sullivan, «Faith Without Works»

97 Richard B. Schmitt, «Justice Unit Puts Its Focus On Faith; Los Angeles Times, March 7, 2005.

98 Dana Milbank, «Charity Cites Bush Help in Fight Against Hiring Gays» The Washington Post, July 10, 2001

99 Daniel J. Wakin, «Charity Reopens Bible, and Questions Follow» The New York Times, February 2, 2004.

الفصل الخامس: الإيدز ليس هو العدو:
الخطيئة، والفداء، وصناعة الحفاظ على العذرية

100 Frederick Clarkson, Eternal Hostility (Monroe, Me: Common Courage Press, 1997), p. 37

openkandil.com

101 Christina Larson, «Pork for Prudes» Washington Monthly, September 2002.

102 The 30 percent figure comes from a 2004 poll commissioned by National Public Radio, the Kaiser Family Foundation, and Harvard,s Kennedy School of Government.

103 Hannah Bruckner and Peter Bearman, «After the Promise: The STD Consequences of Adolescent Virginity Pledges» Journal of Adolescent Health 36 (2005), pp. 271 -78.

104 Laura Beil, «Abstinence Programs: Lessons in Futility?» Dallas Morning News, January 29, 2005

105 Janice M. Irvine, Talk About Sex: The Battles over Sex Education in the United States (Berkeley: University of California Press, 2004) p. 51.

106 Laura P., as told to Teresa Theophano, «Anti-choice <Crisis Pregnancy Centers>: A Personal Account,» PlannedParenthood. org, June 23, 2005.

107 Sexuality Information and Education Council of the United States (SIECUS), Texas state profile

108 Joneen Krauth, WAIT Training Manual (Greenwood Village, Colo.: WAIT Training, 2004), p. 295.

109 Deborah D. Cole and Maureen G. Duran, Sex and Character (Richardson, Tex.: Foundation for Thought and Ethics, 1998), p. 24.

110 Krauth, WAIT Training Manual, pp. 275 -76, 291.

obeikandi.com

111 ACLU of Massachusetts v. Leavitt, complaint, p. 12.

112 Cole and Duran, Sex and Character, p. 80.

113 James R. Coughlin, Facing Reality Student Manual (Golf, Ill.: Project Reality, 1998), p. 11.

114 Bruce Cook, Choosing the Best Student Manual (Atlanta: Choosing the Best Publishing, 1993), p. 25

115 Damien Cave, «Panic in the Sheets: Abstinence Crusaders Are Exploiting Fears of a Mysterious Virus to Scare Teens Away from Having Sex,» Salon.com, October 8, 2002.

116 Debora MacKenzie, «Will Cancer Vaccine Get to All Women?» New Scientist, April 18, 2005

117 Rob Stein, «Cervical Cancer Vaccine Gets Injected with a Social Issue» The Washington Post, October 31, 2005.

118 Ayelish McGarvey, «Dr. Hager,s Family Values» The Nation, May 30, 2005

119 «FDA Official Quits over Morning After Decision» Associated Press, August 31, 2005.

120 Quoted in Marc Kaufman «Memo May Have Swayed Plan B Ruling» The Washington Post, May 12, 2005.

121 Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (1951; reprint, New York: Harcourt, 1994), p. 371.

obeikandi.com

الفصل السادس: لا إنسان، لا مشكلة

الحرب على المحاكم

122 «Moralists at the Pharmacy» The New York Times, April 3, 2005.

123 Liz Austin, «Firings in Morning-After Pill Flap» Associated Press, February 12, 2004.

124 «Pharmacy Refusals 101» fact sheet, National Women,s Law Center.

125 Rob Stein, «Pharmacists, Rights at Front of New Debate» The Washington Post, March 28, 2005.

126 «Sen. Rick Santorum>s Comments on Homosexuality in an AP Interview» Associated Press, April 22, 2003.

127 R. J. Rushdoony, «Christian Reconstructionism as a Movement» The Journal of Christian Reconstruction, Fall 1996, p. 21.

128 Dana Milbank, «And the Verdict on Justice Kennedy Is: Guilty» The Washington Post, April 9, 2005

129 Dan Smoot, Judicial Oligarchy (pamphlet reprinted from the John Birch Society magazine, The Review of the News, April 26, 1972).

130 Frederick Clarkson, Eternal Hostility (Monroe, Me.: Common Courage Press, 1997), p. 86

131 Jean Hardisty, Mobilizing Resentment (Boston: Beacon Press, 1999), pp. 1078-; Rob Boston, «If Best-Selling End-Times Author Tim LaHaye Has His Way, Church-State Separation Will Be Left Behind; Church & State Magazine, February 2002

obeikandl.com

132 Russ Bellant, The Coors Connection (Cambridge, Mass: Political Research Associates, 1991), pp. 45 -46

133 Chip Berlet and Matthew Lyons, Right-Wing Populism in America (New York: Guilford Press, 2000), p. 178.

134 Tim LaHaye and David Noebel, Mind Siege (Nashville: Word Publishing, 2001).

135 Hubert Kregeloh, There Goes Christmas?! (Belmont, Mass.: American Opinion), May 1959

136 John Gibson, The War on Christmas: How the Liberal Plot to Ban the Sacred Christian Holiday Is Worse Than You Thought (New York: Sentinel, 2005), p. 160.

137 Sara Diamond, Roads to Dominion: Right-Wing Movements and Political Power in the United States (New York: Guilford Press, 1995), p. 57.

138 Rick Perlstein, Before the Storm (New York: Hill and Wang, 2002), p. 322.

139 Richard T. Cooper, «General Casts War in Religious Terms; Los Angeles Times, October 16, 2003; Andrea Shalal-Esa, «U.S. General Violated Rules with «Satan» Speeches» Reuters, August 18, 2004; «The Holy Warrior:» 60 Minutes, September 15, 2004

140 William D. Graves, «The Case for Curbing the Federal Courts; The Journal of Christian Reconstruction, Fall 1996, pp. 168 -69.

141 Ralph Reed, Active Faith (New York: Free Press, 1996), p. 261.

openkanal.com

142 Sara Diamond, Not by Politics Alone: The Enduring Influence of the Christian Right (New York: The Guilford Press, 2000), p. 107.

143 R. J. Rushdoony, The Institutes of Biblical Law (Nutley, N.J: The Craig Press, 1973), pp. 725, 425.

144 Bob Moser, «Our Terrible Swift Sword» Southern Poverty Law Center Intelligence Report, Fall 2003

145 John Nickerson, «Red Mass Breakfast Visited by Filibuster Controversy; Stamford Advocate, April 25, 2005.

146 «Frist: Schiavo Case Won,t Affect Dispute over Judges» Associated Press, April 5, 2005

147 Leon Holmes and Susan Holmes, «Gender Neutral Language: Destroying an Essential Element of Our Faith» Arkansas Catholic, April 12, 1997.

148 Max Blumenthal, «In Contempt of Courts» The Nation online, April 11, 2005.

149 Paul Gigot, «Miami Heat: A Burgher Rebellion in Dade County» The Wall Street Journal, November 24, 2000.

150. Lou Dubose and Jan Reid, The Hammer (New York: PublicAffairs, 2004), pp 210 -13; Adam Cohen, «For Partisan Gain, Republicans Decide Rules Were Meant to Be Broken» The New York Times, May 27, 2003.

151 Carol Marbin Miller, «Police <Showdown> over Schiavo Averted,» Miami Herald, March 26, 2005.

openkandil.com

152Robert 0. Paxton, The Anatomy of Fascism (New York: Vintage, 2005), pp. 202, 220.

153 Ibid. p. 205.

النتيجة: المنفى في أرض يسوع

154 Karen Armstrong, The Battle for God: A History of Fundamentalism (New York: Ballantine, 2001), p. 178

155 «Helping Boys Become Men, and Girls Become Women,» on the Focus on the Family Web site.

156 Figures taken from the National Council on Bible Curriculum,s Web site.

157 Joe Follick, «Lawmakers Tangle over <Free Inquiry> Law for Universities» Sarasota Herald-Tribune, March 23, 2005.

158 Roger Griffin, The Nature of Fascism (New York: Routledge, 2003), p. 61: «Even the progression to the columns of large-circulation newspapers and well-attended public meetings represents a quantum leap for the diffusion of fascism which is still far removed from nation-wide mass rallies, extensive paramilitary violence and the 'seizure' of state power».

159 Ibid., pp. 196, 210 -11. «Fascism» Griffin writes on p. 211, «can only break out of its marginalized position as part of the <lunatic> right if it operates in a secularizing and pluralistic society struck by crisis. It will stand a chance of carrying out a successful revolution in a liberal democracy caught in a particularly delicate stage of

obeikandl.com

its evolution: nature enough institutionally to preclude the threat of a direct military or monarchal coup, yet too immature to be able to rely on a substantial consensus in the general population that [classical] liberal political procedures and the values which underpin them are the sole valid basis for a healthy society».

160 Benjamin M. Friedman, «Meltdown: A Case Study» The Atlantic Monthly, July/August 2005

161 Alan Brinkley, Voices of Protest: Huey Long, Father Coughlin, and the Great Depression (New York; Vintage, 1982), pp. 266 - 67. «In January of 1940 an FBI raid on a New York branch of the Front uncovered a cache of weapons?» wrote Brinkley. J. Edgar Hoover claimed that the members had planned to 'eliminate' Jews and Communists and 'knock off about a dozen Congressmen?

162 Daniel Levitas, The Terrorist Next Door (New York: Thomas Dunne Books/St. Martin's, 2002), pp. 9, 253.

163 Quoted in Anti-Defamation League, «The Quiet Retooling of the Militia Movement» September 7, 2004.

164 David Limbaugh, «Old Media on Iraq: Good News Not Newsworthy» WorldNetDaily, April 12, 2005.

165 Francis E. Lee and Bruce I. Oppenheimer, Sizing Up the Senate: The Unequal Consequences of Equal Representation (Chicago: University of Chicago Press, 1999), p. 2.

166 Steven Hill, Fixing Elections: The Failure of America,s Winner Take All Politics (New York: Routledge, 2002), p. 8.

obeikandi.com

167 Jonathan Mahler, «The Soul of the New Exurb» The New York Times Magazine, March 27, 2005.

168 Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (1951; reprint, New York: Harcourt, 1994), pp. 316 -17

169 Rick Santorum, «Fishers of Men» Catholic Online, July 12, 2002.

170 James Alan Fox and Marianne W. Zawitz, «Homicide Trends in the United States» U.S. Department of Justice Bureau of Justice Statistics, September 28, 2004

171 Morgan Quinto Press 2004 -2005 Education State Rankings, available at http://www.morganquitno. com/edrank04.htm

172 Ralph Reed, Active Faith (New York: Free Press, 1996), p. 7.

173 William Saletan, Bearing Right: How Conservatives Won the Abortion War (Berkeley: University of California Press, 2003), pp. 249 -51.

174 Bill Vidonic, «Santorum: Don,t put intelligent design in classroom» Beaver County Times er Allegheny Times, November 13, 2005

175 Rick Santorum, It Takes a Family (Wilmington, Del.: ISI Books, 2005), pp. 386 -87.

176 «Let Bible Study Be Allowed at Recess, Suit Says» Associated Press, June 4, 2005. For the conservative reaction, see «Intolerance in the Bible Belt» Washington Times, June 8, 2005.

obeikandi.com

177 Jerry Falwell, «The Case of the Offensive Candy Canes» WorldNetDaily, January 11, 2003.

الخاتمة: التضامن

178 Colum Lynch, «Islamic Bloc, Christian Right Team Up to Lobby U.N» The Washington Post, June 17, 2002

179 Salman Rushdie, «Fighting the Forces of Invisibility» The Washington Post, October 2, 2001.

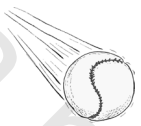

obeikandl.com